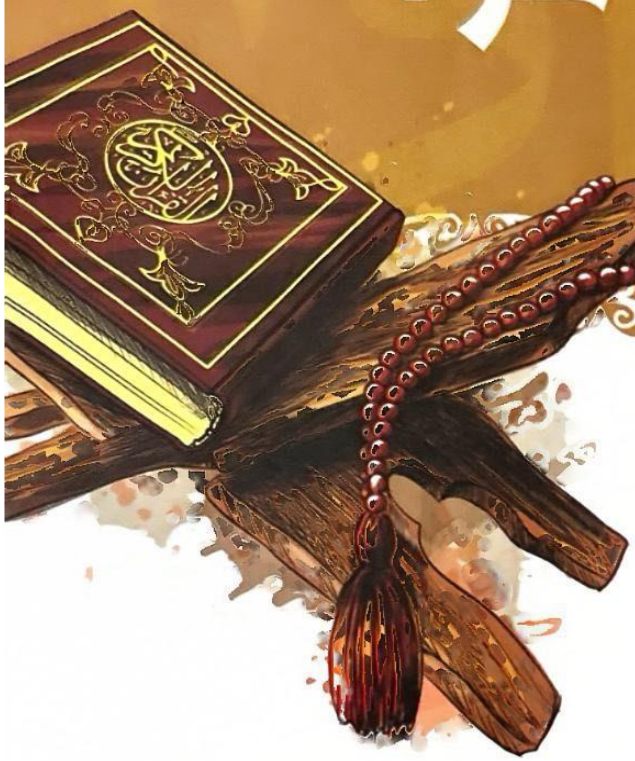
وكأنّي أقرؤهُ لأوّل مرّة



د. السيد إبراهيم سلامة

الطبعة الثانيةِ
1447هـ - 2026م

مكتبة الأسرة العربية
نحو أسرة عربية واعية

الكتاب: 3


سلسلة تصحيح الفهم
• الكتاب الثالث •
وكَأَنِّي أَقرَؤُهُ لَأَوَّلِ مَرَّةٍ
د. السيد إبراهيم سلامة
القياس: 14.5 X 21.5 سم
عدد الصفحات: 151 ص
ISBN: 978-625-8063-78-3
الطبعة الأولى
١٤٤٤ هـ - ٢٠٢٣ م
جميع الحقوق محفوظة للمؤلف
مكتبة الأسرة العربية
نحو أسرة عربية واعية ..
طباعة ونشر وتوزيع
إصدارات مُختارة للأسرة العربية


بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى كل من يريد أن يتدُّبر القرآن،

إلى كل من يريد أن يحيا بالقرآن،

إلى كل من يريد أن يحيا الكون كله بالقرآن من جديد ،

إلى روح أبى الغالى وإلى روح أمى الغالية،

وإلى زوجتى العزيزة وأولادى الأعزاء،

نفعنا الله جميعاً بالقرآن علماً وعملاً، ودعوةً به وإليه.

شكرٌ واجب

لكل من استفدت من مقالاته ونصائحه ودعواته لي

وأيضاً لكل من ينصحنا إذا وجد خطأ منا أو نسيان

وليعلم أن أحب الناس إلينا من أهدى إلينا عيوبنا

وأخص بالشكر والدعاء له

أخى الدكتور / زاهر السلامة

لحسه اللغوى المرهف وتعليقاته

والتي أضافت لهذه الطبعة الثانية الكثير من الفائدة

العناوين

- – مقدمة الكتاب 0
- – هل نحن في حاجة للعمل بالقرآن؟ 1
- – مقدمة في التدُّبر 7
- التدُّبر مقصد قرآنى 14
- فى ظلال التدُّبر 20
- التدُّبر والعمل وحال السلف بالقرآن 32
- التدبر والعمل بالقرآن في شهر القرآن 59
- هيا بنا نتدُّبر القرآن ساعة 65
- – تأملات تدُّبرية فى بعض السور: 66
  - سورة الفاتحة: وكأني أقرؤها لأول مرة 67
  - سورة العاديات: وكأني أقرؤها لأول مرة 76
  - سورة العصر: وكأني أقرؤها لأول مرة 81
  - سورة قريش: وكأني أقرؤها لأول مرة 84
  - سورة الضحى: وكأني أقرؤها لأول مرة 86
  - سورة الهمزة: وكأني أقرؤها لأول مرة 90
  - سورة الماعون: وكأني أقرؤها لأول مرة 93
  - سورة يوسف: وكأني أقرؤها لأول مرة 96
  - سورة الكهف: وكأني أقرؤها لأول مرة 100
  - سورة العلق: وكأنى أقرؤها لأول مرة 133
- – خاتمة 137

شعارنا القرآني

" لا تنثروه نثر الدقل ،

ولا تهزُوه هزَ السِعر،

قفوا عند عجائبه،

وحركوا به القلوب،

ولا يكن هَمٌ أحدِكم آخرَ السورة "

المقدمة

الحمد لله، نحمده ونستعين به ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ..... وبعد:

إن نِعمَ الله جل وعلا على أمة محمد- ﷺ - نِعمٌ عظيمة متنوعة متعددة لا حصر لها ولا يمكن لإنسان أن يحيط بها في مجلس أو مجالس، إلا أن أعظم ما أنعم الله به جل وعلا على هذه الأمة وعلى الناس عامة، إنزال هذا **الكتاب الحكيم**، والذي امتن الله جل وعلا بإنزاله على الناس أجمعين. فإن الله سبحانه وتعالى أنزل هذا الكتاب خاتمة للكتب، وجعله حجة على الخلق، فهو أعظم آيات الأنبياء، لأنه المعجزة، وهو الآية العظيمة الباقية التي لا يحُد أثرها زمانٌ ولا مكان، حتى إذا حيل بين الناس، وصرفت قلوبهم عن الإقبال على الكتاب، وتعطل الإنتفاع به، يرفعه الله جل وعلا في آخر الزمان، بموت العلماء، وذلك من تعظيم الله لكتابه في ذلك الزمان.

والقرآن: هو الكتاب الخالد لهذه الأمة ، الذي أخرجها من الظلمات إلى النور، فأنشأها هذه النشأة، وبدلها من بعد خوفها أمناً، ومكّن لها في الأرض، ووهبها مقوماتها التي صارت بها أمة، ولم تكن

من قبلُ شيئاً. وهي بدون هذه المقومات ليست أمة، وليس لها مكانٌ في الأرض ولا ذكرٌ في السماء.

ولذلك حق على المسلمين، أفرادٍ وجماعات أن يعودوا إلى هذا المعين الصافى، إلى هذا المنبع الرقراق الذي لا تنضب فوائده ولا تنتهى عجائبه ولا تنقضي أسراره، وفيه أسباب النجاة، وفيه القصص، وفيه العبرة، وفيه العظة، وفيه التثبيت، وفيه الهداية، وفيه النور، كما قال الله جل وعلا في وصفه: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الْإِيمَانُ، وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ من عبادنا﴾[1] .

إن هذا القرآن نورٌ وروحٌ وحياةٌ وواقعيةٌ حركيةٌ دائمةُ مع الزمان والمكان..... وهذه أوصاف تبعث الحياة في الفرد، كما أنها تبعث الحياة في الجماعة، وتبعث الحياة في الأمة كذلك.

وإنّ الأمة إذا أقبلت على الكتاب بُشرت بهاتين البشارتين، الروح والنور، الروح يحصل به الحياة الهنيئة والمستقرة، والنور يحصل به التمييز بين الحق والباطل، والخروج من هذه الظلمات التي أحلكت بالأمة وأحاطت بها من كلِ جانب، ولا مخرج منها إلا بالكتاب المبين والقرآن العظيم، قال الله جل وعلا: ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾[2]

---

1 (?) الشورى: 52

2 (?) الأنعام: 122.

وهذا هو <u>الكتاب الثالث</u> في سلسلة تصحيح الفهم: (الأربعون الحَضَارية (أحاديث مهمة فى صلاح الأمة)- **العَشَرة السابقون والعَشَرة المتساقطون** (أحاديث عقائدية ميسرة)- **وكأني أقرؤه لأول مرة** (في تدبر القرآن والعمل به، مكتبة الأسرة العربية- تركيا)- **المؤسسة الدعوية الناجحة: أخلاق ومقومات (الجزء الأول والثاني)** (نصيحة رقراقة لتطوير المنهج والأسباب المؤدية إلى نجاح الدعوة والدعاة)- **المدخل في تربية الأبناء** (الكتاب الأول- تربية طفل العقيدة ورجل المستقبل)- **الأخوة والصداقة:** بين المنظور والمأمول (عودة بالمعني الصحيح للأخوة)- **علمتني سيرة الحبيب: الجزء الأول والجزء الثاني** (كيف نعيش بسيرة الحبيب عملاً ودعوة وليس قراءة واستمتاعاً بها فقط)- **مرحلة تكوين الصادق الأمين** (الكتاب الأول في سلسلة: السيرة مراحل وعبر) - **لافتات قرآنية: الجزء الأول والثانى:** (خواطر وظلال موضوعية سريعة لبعض الآيات والتى تدفع إلى العمل فى واقع اليوم) - **إذاً لا يضيعنا:** (أهمية الرضا بالقضاء ومن بعده دائماً فرجٌ ويسر ، وأمثلة من التاريخ والسيرة)- **الأحداث الإسلامية والتاريخية فى الشهور العربية** (سلسلة: من زمن العزة).

نسأل الله جل وعلا بأسمائه الحسنى وصفاته العلا، أن يجعلنا من أهل القرآن الذين هم أهل الله وخاصته.....

إقبالاً على كلامه سبحانه، وتعظيماً لما عظم الله فى كتابه الكريم.

****

وصلى الله على سيدنا محمد .... أعظم من دعا إلى الله على بصيرة، وأقام حضارة، وصنع نهضة، وأنقذ أمة....وعلى آله وصحبه ومن والاه..... والحمد لله رب العالمين.

1446 هـ شهر رمضان

الأستاذ الدكتور/ السيد إبراهيم على سلامة أستاذ طب الأطفال - عضو علماء المستقبل (الإتحاد العالمي)

E-mail: elsayedsalama5@yahoo.com

الموقع على الشبكة للحصول على الكتب مجاناً:

https://www.noor-book.com/u/Elsayed-Salama-%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%8A%D8%AF-%D8%A7%D8%A8%D8%B1%D8%A7%D9%87%D9%8A%D9%85-%D8%B3%D9%84%D8%A7%D9%85%D9%87/books

https://play.google.com/books/s/846555658020

هل نحن في حاجة للتدُّبر والعمل بالقرآن؟

تخيل أخي أنك جالس الآن مع الحبيب محمد ﷺ ،

ثم أتي جبريل وأعطى القرآن الي الحبيب محمد ﷺ ،

فأخذه منه الحبيب ﷺ ، وأعطاه لك،

وقال لك هذه رسالة إليك من ربك العظيم،

اقرأها الآن لتري ماذا يريد ربك منك.....

أنت جالس مع الحبيب محمد ﷺ وهو ينظر إليك.. ما هو شعورك وماذا تفعل بالرسالة؟؟

وإجابة السؤال عند العقلاء والمحبين ولا شك: **أقوم مسرعاً لأنفذ ما في الرسالة من أوامر ونواهي.**

****

وهناك معنى دقيق أيضاً، هل أنت محتاج القرآن بصدق ؟ ما هي حاجتك، هل هي من أمر الدنيا أم من أمر الآخرة ؟

ماذا بعد قرائتك للقرآن، هل وجدت حاجتك أو ضالتك؟

فى الحقيقة، أنت محتاج لهداه، محتاج لتوجيهاته، محتاج لإرشاداته

نعم : هو هدي في الأسباب .....وهدي في النتائج.....وهدي في الدنيا.....وهدي في الآخرة،

إذن انت محتاج للقرآن.

أنت محتاج لتقرأ رسالة ربك، وكلامه إليك!!

إذا شعرت بهذه الحاجة للقرآن،..... فاعلم أنك الآن جاهز لتقرأ القرآن.

إن الله سبحانه وتعالى بشر الناس عامة بإنزال هذا الكتاب فقد قال جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدىً وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[3] ثم قال سبحانه وتعالى بعد هذه البشارة والبيان لما جاء به النبي ﷺ قال الله جل وعلا: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾[4]

هذه البشارة تلقاها رسول الله ﷺ بالفرح، فكان فرحاً بكتاب الله جل وعلا، وفرحاً بنعمته سبحانه وتعالى، وما خصه الله به من هذا الفضل العظيم.

وفرحت به الأمة من صحابة رسول الله ﷺ فكان هذا الكتاب من أعظم النعم عليهم، وكان انقطاع الوحي بموت النبي ﷺ من أعظم ما أُصيبوا به، لما في ذلك من انقطاع المدد من السماء وانقطاع هذا الخير. وكذلك فرح به التابعون ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين لما تمتع به الكتاب من الأوصاف العظيمة التي تكفل للناس سعادة الدارين، سعادة الدنيا وفوز الآخرة.

إن هذا الكتاب لا يقتصر نفعه على دار القرار والدار الآخرة فقط، بل يجد المؤمن ثماره في الدنيا قبل الآخرة، فهو الكتاب الذي تصلح به أمور الناس، وتستقيم به أحوالهم في الدنيا وفي الآخرة،

---

3 (?) يونس: 57.

4 (?) يونس: 58.

ولذلك بشر الله به الناس عامة، فهو رحمة وهدى وشفاء، قال الله جل وعلا: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[5] وإنما خص المؤمنين بهذا لكونهم المنتفعين من هذا القرآن أولاً، وإلا فإن القرآن رحمة لكل أحد، ففيه الهدى والنور، وفيه ترتيب شؤون حياة الناس وإقامة معادهم وإصلاح دنياهم وآخرتهم.

إن هذا القرآن بهر عقول كثير من الناس، حتى من لم يؤمنوا به، فإن ما فيه من البيان وما فيه من الإعجاز وما فيه من الأسرار التي لا يحيط بها عقل ولا يدركها بيان ولا يحيط بوصفها لسان، أمر يفوق الوصف، أمر يتجاوز التصور، لأنه كلام رب العالمين، والله جل وعلا قد قال في محكم التنزيل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[6] فليس كمثل ربنا شيء، لا في صفاته ولا في ذاته ولا في أفعاله لا في كلمه ولا فيما يجب له سبحانه وتعالى.

فكلام ربنا جل وعلا ليس كمثله شيء، كما أن صفاته سبحانه وتعالى ليس كمثلها شيء، كما أن سائر ما يتعلق به جل وعلا ليس له مثيل ولا شبيه ولا نظير.

قال الله جل وعلا في وصف كتابه: ﴿ق * وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾[7] فوصفه الله سبحانه وتعالى بالمجد، والمجد في لغة العرب، السعة في أوصاف الكمال، فكل ما اتسع في أوصاف الكمال أثبت له هذا

---

5 (?) الإسراء: 82.

6 (?) الشورى: 11.

7 (?) ق: 1.

الوصف وأطلق عليه هذا اللفظ، فالمجيد أي الذي كمل في صفاته واتسع في صفات الكمال والشرف حتى بلغ منتهاها وبلغ غايتها، كيف لا وهو الروح، والنور، والهدى، كيف لا وهو شفاء لما في الصدور كما قال الله جل وعلا: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ ﴾[8] وانظر إلي قوله سبحانه وتعالى: ﴿مِنَ الْقُرْآنِ﴾ من هنا ليست للتبعيض بل هي لبيان الجنس، أي إن كل القرآن شفاء لما في الصدور، يشفي في الأصل وبالدرجة الأولى من أمراض القلوب، من أمراض الشبهات، من أمراض الشهوات. وهو يشفي كذلك من الأمراض الحسية.

(وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ۖ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ ۖ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ) (44) سورة فصلت

****

إن الله يرفع بهذا القرآن أقواماً ويضع به آخرين. كما قال النبي ﷺ... ولا أدل ولا أصدق من وقوع هذا الحديث في واقع الأمة، فإن الله رفع القرون المفضلة لِما كانوا عليه من الإقبال على هذا القرآن، قراءة وعلماً وعملاً وتعليماً ودعوة، وغير ذلك من أوجه الانتفاع بالقرآن الحكيم.

8 (?)الإسراء: 82.

نحن في أمسِّ الحاجة إلى أن نعرف القرآن، وأن نقدره قدره، وأن نرى حقيقته فيما كان من سير أسلافنا رضى الله عنهم، ثم بعد ذلك ننظر ما الواجب على وجه الإجمال والتفصيل تجاه هذا القرآن الكريم، ليتحقق لنا به العز والنصر والتمكين، بإذن الله، سبحانه وتعالى....

نعم، ما أحوج عودتنا للقرآن، فلا عز لنا ولا كرامة ولا رفعة في الدنيا والآخرة، إلا من خلال التمسك بالقرآن الكريم **حفظاً وفهماً وتدبراً وعملاً**، كي نسعد في الدنيا والآخرة، ونسود العالم بأسره كما كان أصحاب النبي ﷺ والسلف الصالح رضي الله عنهم، نعم تحققت لهم السيادة والعزة والكرامة عندما أخذوا القرآن الكريم منهج حياة. ونحن في هذه الأزمان المتأخرة التي بُليت فيها الأمة من المصائب والرزايا من عدة جهات، فيما يتعلق بعلاقتها بربها وعلاقتها بالكون من حولها، تحتاج الأمة إلى أن تراجع هذا الكتاب العظيم الذي قال فيه النبي ﷺ: **(تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً: كتاب الله)**[9]

وأهمية عودة الأمة إلى كتابها الكريم لتحيا به– ليست مسألة ثانوية، **وإنما هي مسألة حياة أو موت**، حياة في ظل هذا القرآن علماً وعملاً، أو موت بالإعراض عنه واتخاذه مهجوراً.....

9 (?) أخرجه مالك في مسنده من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه بلفظ: ((تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنة نبيه)) برقم 1395.

وأختم بأننا، نعم في أشد الحاجة للعودة الي كتاب الله العظيم ، قراءة وتدبراً وعملاً ودعوة:

- لأنه كلام الله: وهذا شرف وكرامة واصطفاء لكل من يقرؤه
- لأنه كتاب هداية: وتلك حاجة الناس جميعاً، وليس كتاب جباية أو نكاية.
- لأنه شفاء لما في الصدور: من ضيق وشبهة ومرض.
- لأنه كنز معرفة وعلوم: فيه علوم الأولين والآخرين.
- لأن فيه حل لجميع مشاكل الحياة.
- وأيضاً حتى نرتقي الي أعلي مقام عند رب العالمين.

قال رسولُ اللهِ ﷺ :

{ **يُقالُ لصاحِبِ القُرآنِ: اقرَأْ وارتَقِ، ورتِّلْ كما كنتَ تُرتِّلُ في الدُّنيا؛ فإنَّ مَنزِلَك عندَ آخِرِ آيةٍ تَقرَؤُها**}

صحيح أبو داوود

****

مقدمة في التدبر

يدور لفظ التدبر في معناه العام حول النظر في عواقب الأمور والتفكّر في أدبارها، أما في معناه الاصطلاحي فهو يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالقرآن الكريم، ويكاد معنَى التدبّر يقتصر عليه لوروده في عدد من الآيات القرآنية التي تحث عليه وتستنكر إهماله، وتبيّن أهميته القصوى في تثبيت الإيمان ومعرفة الخالق عز وجل، وتيسير سبل الهداية والامتثال لأوامر الله ونواهيه بحب واستسلام.

وقد امتلأت كتب التفاسير والدراسات القرآنية بالتعاريف الكثيرة التي تدور حول معنَى التدبر عند التعرض للآيات الكريمة التي ورد فيها هذا اللفظ، وعرض كل واحد ما توصّل إليه جهده في فهم المراد القرآني، وإن كانت أغلبية هذه التعاريف تصب في مجرى واحد وتلتقي عند معاني متشابهة تنتهي إلى أن تدبر القرآن هو فهمه والنظر فيه برويّة وتفكّر، لاستخلاص المعاني العميقة التي يشتمل عليها، والوقوف عند آياته والتأمل فيها والتفاعل معها للانتفاع بها والإمتثال لما فيها.

قال **النسفي**: في معنَى "ليدّبّروا" معناه ليتفكروا فيها فيقفوا على ما فيه ويعملوا به "[1]، وقال الشيخ سلمان **السنيدي**: " تدبر القرآن هو تفهم معاني ألفاظه والتفكر فيما تدل عليه الآيات مطابقة وما دخل في ضمنها، وما لا تتم تلك المعاني إلا به، مما لم يعرج اللفظ على ذكره من الإشارات والتنبيهات وانتفاع القلب بذلك، بخشوعه عند مواعظه، وخضوعه لأوامره، وأخذ العبرة منه "[2].

وقال الشيخ الطاهر بن عاشور: "والتدبر: التفكر والتأمُّل الذي يبلغ به صاحبه معرفة المراد من المعاني، وإنَّما يكون ذلك في كلام قليل اللفظ كثير المعاني التي أودعت فيه، بحيثُ كُلَّما ازداد المتدبر تدبرًا، انكشف له معانٍ لم تكن بادية له بادئ النظر[3].

ويرى عبد اللطيف البريجاوي أن التدبر هو : "محاولة إخراج ما في النص من مختلف الدلالات التي لا تظهر بادي الرأي، وليس من معنَى التدبر: الإتيان بالغريب من الأقوال التي تعارض ظاهر النصوص، وإنما هو كشف لمعاني مستكنَّة في النصوص لا تتحصل إلا بالفهم العميق والنظر والتأمل الكثير"[4] . وقال الحسن البصري: "والله، ما تدبره بحفظ حروفه وإضاعة حدوده، حتَّى إنَّ أحدهم ليقول: قرأت القرآن كله، وما يُرى له القرآن في خُلُق ولا عمل".

قال ابن تيمية :"حاجة الأمة ماسة إلى فهم القرآن، والفهم الصائب أساس العمل الصالح، وإذا لم يتحقق حسن الفهم فإنه لا مناص من أمرين: الحيرة والاضطراب وعدم العمل، أو العمل على أساس منحرف أو مختل، لا يوصل إلى الغاية المنشودة والنهاية المحمودة. والمراد بالتدبر تفهّم المعاني وتدبر المقاصد ليحصل الإتعاظ ويقع العمل، وهو أمر مهم جعله الله مقصداً أساسياً لنزول القرآن).[5]"

---

[1] – تفسير النسفي . أبو البركات عبد الله بن أحمد النسفي . دار الكتاب العربي . بيروت . ج 9 . ص 18

[2] – تدبر القرآن . سلمان السنيدي. مجلة البيان . الرياض . ط 2 . 1921 هـ . 2112 م . ص 11

[3] – تفسير التحرير والتنوير . محمد الطاهر بن عاشور . دار سحنون للنشر والتوزيع . تونس . 1111 م . ج11 . ص 202

[4] - رؤى في قصار السور . عبد اللطيف البريجاوي . ص 21------5–مجموع الفتاوى . تقي الدين بن تيمية . تحقيق : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم .

يكاد يجمع أغلب من تطرق إلى هذا المصطلح، أن التدبر مقصد عظيم من مقاصد القرآن، وركن متين من أركانه لكونه سبيلًا ناجعاً من سبل التعامل مع كلام الله، والتفاعل الإيجابي معه، والتعرض من خلاله لنفحات الرحمن، واستمطار حسن توفيقه وإرشاده وهدايته، وحمل النفس على اتباعه، وترجمة تعاليمه إلى سلوك فعلي وهو الهدف الأكبر للرسالات السماوية والمهمة الأسمى للأنبياء والرسل.

من هنا اكتسى التدبر أهميته القصوى في حياة الفرد والمجتمع ، وكان منذ نزول القرآن الكريم . علامة فارقة في حياة الأمة: "ما كان الصدر الأول من سلفنا صالحا بالجبلّة والطبع، فالرعيل الأول منهم . وهم الصحابة . كانوا في جاهلية جهلاء كبقية العرب، وإنما أصلحهم القرآن لما استمسكوا بعروته، واهتدوا بهديه، ووقفوا عند حدوده، وحكّموه في أنفسهم، وجعلوا منه ميزاناً لأهوائهم وميولهم، وأقاموا شعائره المزكّية، وشرائعه العادلة في أنفسهم وفيمن يليهم، كما أمر الله أن تقام، فبذلك أصبحوا صالحين مصلحين. فهو تجلّ لأسمى علاقة تربط المسلم بكلام ربه، لأن التدبر ينبع من الاهتمام الكبير الذي يوليه المتدبر لما بين يديه من الآيات الكريمة، يبحث فيها عن منهج الحياة التي ينبغي أن يحياها، ويستنطق الآيات ويُسائلها عن أمور حياته كلها، كيف يريد الله منه أن يسير فيها، ويغوص بفكره عميقاً في ألفاظها ومعانيها لعله يقتبس نوراً من أنوارها، إيماناً منه أن هذا الكتاب الكريم قد جمع بين دفتيه خيري الدنيا والآخرة: " **وَنُنزِلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ**" الإسراء-82، ويقيناً بما وصفه

به رسول الله ﷺ: (هو حبلُ الله، المتين وهو الذكرُ الحكيمُ وهو الصراطُ المستقيمُ، هو الَّذي لا تزيغُ به الأهواءُ ولا تلتبسُ به الألسنةُ، ولا يشبعُ منه العلماءُ ولا يخلقُ عن كثرة الرَّد، ولا تنقضي عجائبُه) [6].

هذا الاهتمام الواعي هو الذي ينقل الوحي الإلهي الذي نتلوه من السطور ليتحوّل إلى واقع عملي مُعاش، ويتجسّد في شكل سلوكيات ذات أبعاد حركية توجّه العمل الإنسانى وتعطيه صبغته المتميّزة، وتنأى به عن الأهواء، وتنزهه عن المصالح الضيقة، وهذا هو الهدف الأساس الذي نزل من أجله القرآن الكريم، حيث تكمن قيمته الحقيقية في قدرته على التغيير وترشيد حركة البشرية في تدافعها وإفساح المجال له ليقودها: " فلا شيء أنفع للقلب من قراءة القرآن بالتدبّر والتفكّر، فإنه جامع لجميع منازل السائرين، وأحوال العالمين، ومقامات العارفين، وهو الذي يورث المحبة والشوق، والخوف والرجاء، والإنابة والتوكل، وسائر الأحوال التي بها حياة القلب وكماله، وكذلك يزجر عن جميع الصفات والأفعال المذمومة التي بها فساد القلب وهلاكه. فلو علم الناس ما في قراءة القرآن بالتدبر؛ لاشتغلوا بها عن كل ما سواه؛ لأن قراءة القرآن بالتفكر هي أصل صلاح القلب .

وقال الشيخ **عبد الرحمن بن السعدي**: موضّحا أهمية تدبّر القرآن والثمرات اليانعة التي يجنيها المتدبّر له: "يأمر –تعالى – بتدبر كتابه، وهو التأمل في معانيه، وتحديق الفكر فيه، وفي مبادئه وعواقبه، ولوازم ذلك؛ فإن تدبُّر كتاب الله مفتاح للعلوم والمعارف، وبه يُستنمتج كلُّ خير وتُستخرج منه جميع العلوم، وبه يزداد الإيمان في القلب وترسخ شجرته؛ فإنه يُعرِف بالرب المعبود، وما له من صفات

الكمال، ويُنزَّهه عنه سمات النقص، ويُعرِف بالطريق الموصلة إليه وصفة أهلها، وما لهم عند القدوم عليه، ويُعرِف بالعدو الذي هو العدو على الحقيقة، والطريق الموصلة إلى العذاب، وصفة أهلها، وما لهم عند وجود أسباب العقاب. وكلما ازداد العبد تأملًا فيه، ازداد علماً وعملًا وبصيرةً ، لذلك أمر الله بذلك وحث عليه وأخبر أنه (هو) المقصود بإنزال القرآن)[7] .

والعاكف على القرآن المتدبّر في آياته برغبة قوية ونية صادقة لا بدّ أن تمتلئ نفسه نوراً، وتتفتّح بصيرته على حقائق الوجود، وتنكشف له أسرار الحياة التي كانت خافية عليه، وتتجلّى له سنن الله التي تحكم الأنفس والآفاق فيًحسن تحليل الأحداث ووزنها بالميزان الصحيح، ليضعها في موقعها الصحيح من هذه السنن، ويقبل على نفسه يبحث فيها عن مواطن الخلل ليصلحها، ويعرض شؤونها على كتاب ربه ليقول كلمته فيها، ويتحوّل إلى طاقة حيّة، وهذا هو السبيل الوحيد ليستعيد القرآن الكريم حيويته وفعاليته)[7].

وقد أشار المفكر الإسلامي **محمد إقبال** إلى هذا المعنَ إشارة لطيفة حينما تحدث عن النصيحة التي أسداها إليه والده بخصوص تلاوة القرآن فقال له: " اقرأ القرآن كأنما أُنزل عليك "؛ لأن قراءته بهذه الطريقة تستحضر القلب وتستدعي تركيز العقل، وتستشعر النفس أن الخطاب موجّه لها فتستعد وتنتبه لتستجيب لأمر الله ، وهذا هو الهدف الأسمى للتدبر وهنا تكمن أهميته .

واعتبر الشيخ محمد **البشير الإبراهيمي** أن تدبر القرآن هو الذي أحدث هذا الفرق الشاسع بين صدر الأمة الذي كان يقف على قمة المجد ويتربع على سنام الحضارة، وبين آخر الأمة الذي يعيش المغلوبية الحضارية والاستتباع الأممي، وفي ذلك يقول: " تدبّر القرآن واتباعه هما فرق ما بين أول الأمة وآخرها وإنه لفرق هائل، فعدم التدبّر أفقدنا العلم، وعدم الإتباع أفقدنا العمل. وإننا لا ننتعش من هذه الكبوة إلا بالرجوع إلى فهم القرآن واتباعه، ولا نفلح حتى نؤمن ونعمل الصالحات "فالذين آمنوا به وعزّروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون")8.

واعتبر كذلك أن أسلوب التعامل مع القرآن الكريم هو الذي يتحكم في النتائج المترتبة عنه، وأن ما حصل مع الجيل القرآني الأول سيتكرر إذا توفرت مقدماته الأساسية وهي حسن تدبره والعمل بمقتضى هذا التدبّر: "وكما أتى القرآن لأول نزوله بالعجائب والمعجزات في إصلاح البشر، فإنه حقيق بأن يأتي بتلك المعجزات في كل زمان، إذا وجد ذلك الطراز العالي من العقول التي فهمته، وذلك النمط السامي من الهمم التي نشرته وعممته، فإن القرآن لا يأتي بمعجزاته ولا يؤتي آثاره في إصلاح النفوس إلا إذا تولّته بالفهم عقول كعقول السلف، وتولّته بالتطبيق العلمي نفوس سامية وهمم بعيدة كنفوسهم وهممهم. أما انتشاره بين المسلمين بهذه الصورة من الحفظ المجرد، وبهذا النمط من الفهم السطحي، وبهذا الأسلوب من التفسير اللفظي، فإنه لا يفيدهم شيئاً ولا يفيد لهم شيئاً، بل يزيدهم بعداً عن هدايته، ويزيد أعداءهم استخفافاً بهم، وإمعاناً في التغلب عليهم".(8)

وفي تشديده على أهمية التدبر في حياة المسلم يقول **عبدالحميد ابن باديس:** في تفسيره لقوله تعالى: (والذين إذا ذُكِروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صُماً وعميانا) الفرقان11، قد صورت الآية حالة المؤمن بالقرآن، الذي ينكبّ عليه، ويتلقاه بالقبول، ثَم لا يتفهّمه ولا يتدبّره، بحالة الأصمّ الأعمى، في عدم انتفاعه بما انكبّ عليه، تقبيحاً لعدم الفهم والتدبّر من المؤمن للآيات، وتحذيراً منه، وتنبيهاً على الانتفاع بالقرآن الذي تتفتّح به البصائر، وتتسع به المدارك، وتتهذب به الأخلاق، وتتزكّى به النفوس، وتتقوّى به الأعمال، وتستقيم به الأحوال، وإنما يكون ذلك كله بتفهّمه وتدبّره دون مجرد الإنكباب عليه بلا تفهّم ولا تدبّر).[9]

5-مجموع الفتاوى . تقي الدين بن تيمية . تحقيق : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم . مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف .

6- تفسير القرآن العظيم . إسماعيل بن عمر بن كثير . تحقيق : سامي بن محمد السلامة . دار طيبة للنشر والتوزيع . ط 2 . 1921 هـ . 1111 م

7- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان . عبد الرحمن السعدي . مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع . بيروت . 2112م

8- الشيخ محمد البشير الإبراهيمي . ج 9. ص 221

9- تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير . ص 18

التدبرُ مقصدٌ قرآنى

حث الله جل وعلا في كتابه على النظر في الآيات في مواضع كثيرة ومن جملة تلك الآيات التي تضمنها الكتاب الحكيم:

- قال الله جل وعلا: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[10] فهذا الكتاب أنزله الله جل وعلا ووصفه بأنه مبارك ثم بين الطريق الذي تحصل به بركة هذا الكتاب والطريق الذي تنال به خيرات هذا الكتاب فقال الله سبحانه وتعالى: ﴿... لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾ أي ليقوموا بتدبر آياته، ولا سبيل لتحصيل بركة الكتاب إلا بهذا التدبر.

- وقد أمر الله جل وعلا رسوله ﷺ في أول البعثة، بقيام الليل فقال الله جل وعلا لرسوله: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ * قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلاً * نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً * أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾[11] أي ترسل في قراءته ورتل القرآن ترتيلاً ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً﴾[12] وهو القرآن، فالقرآن قول ثقيل يحتاج إلى تهيئة، فأمره بقيام الليل وعلل ذلك بقوله: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئاً وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾ يعني يتفق فيها قول اللسان مع تدبر القلب وتأمله وتفكره ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئاً وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾ وناشئة الليل قيل في تفسيرها: أوقات الليل وقيل في التفسير أيضاً: عمل الليل، وكلا القولين يؤيد ما استشهدنا

---

10 (?) ص: 29.

11 (?) المزمل: 1-2-3-4.

12 (?) المزمل: 5.

به من أن النبي ﷺ أمره الله عز وجل بما أمره ووجهه بأن يكون ذلك في الليل قياماً، لكونه أدعى لمواطأة القلب للسان بالتدبر، وقد امتثل رسول الله ﷺ توجيه الله جل وعلا وأمره، فعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: (صليت مع رسول الله ﷺ ليلة فقرأ البقرة وآل عمران والنساء في ركعة)[13] والحديث طويل.

****

صفة القراءة.... أول خطوة:

هل هي قراءة الهزّ والنثر، الذي لا يُعقل له معنى ولا يعرف له مقصود؟ لا والله،

يقول حذيفة رضي الله عنه في وصف قراءته ﷺ: (إذا مرّ بآية فيها تسبيح سبح أو سؤال سأل أو تعوُذٍ تعوَذ)[14] هكذا كانت قراءة رسول الله ﷺ قراءة تدبر ونظر وتفكر وليست قراءة هذّ، كما قال ابن مسعود رضي الله عنه في وصف القراءة التي ينبغي أن يكون عليها المؤمن قال: " لا تنثروه نثر الدَقل ولا تهزوه هزّ الشعر، قفوا عند عجائبه، وحركوا به القلوب، ولا يكون هَمُ أحدكم آخر السورة "

إن هذا القرآن، فيه من العجائب والأسرار ما لا ينفتح، للذي يقرؤه قراءةً عَجلى، لا تدبرَ فيها ولا نظر، وإن الله جل وعلا يمنع من امتهن القرآن ولم يعطه حقه، من أن يقف على أسراره وعجائبه.

---

13 (?) أخرجه أبوداود في كتاب الصلاة برقم 740.

14 (?) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها برقم 1291.

لم تكن قراءة السلف للقرآن مجرد قراءة للألفاظ، فإن الله سبحانه وتعالى أثنى على الذين يتلون الكتاب ثناءً حسناً في كتابه، ولكنه أيضاً ذمّ قوماً يقرؤون الكتاب، لكنهم لا يفقهون ما تضمنه الكتاب من التوجيه فقال الله جل وعلا في وصف طائفة من بني إسرائيل: ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ ﴾[15] يعني ليس عندهم من معرفة كتاب الله ولا من نصيب من هذا الكتاب إلا مجرد التلاوة، ليس عندهم فقه ولا معرفة ولا تدبر ولا فهم للمعنى...وأما أهل التدبر: (والذين إذا ذُكروا بآيات الله لم يخروا عليها صماً وعمياناً) الفرقان [11].

كان السلف من الصحابة رضوان الله عليهم، يجلس أحدهم في تعلم سورة من القرآن سنين متطاولة، وكانوا رضي الله عنهم كما قال أبو عبد الرحمن السلمي: " كان الذين يقرؤننا القرآن من صحابة رسول الله ﷺ عثمان وأبي بن كعب وغيرهم وكانوا يقولون: " كنا على عهد النبي ﷺ لا نتجاوز العشر آيات حتى نعرف ما فيها من القرآن والعلم والعمل، فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً" .... هكذا كان صحابة رسول الله ﷺ رضي الله عنهم..... وروى مالك أن ابن عمر رضي الله عنه تعلم البقرة في اثنتى عشرة سنة، فلما ختمها رضي الله عنه نحر جزوراً، وطول هذه المدة ليست فقط لحفظ ذلك وضبطه من جهة اللفظ، بل إنهم (فيما نظن) كانوا أنهم أسرع حفظاً من المتأخرين لكنهم كانوا يتفقهون وينظرون إلى ما تضمنه هذا الوحي من الخير العظيم، وابن مسعود كان يقول: كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن. فكلامهم، رضي الله عنهم، كان قليل، لكنه كثير

---

15 (?) البقرة: 78.

البركة، فهو نابع عن فقه ونظر دقيق، أما كلام المتأخرين، للأسف فهو كثير لكنه قليل البركة والله أعلم.

إذن كيف نقرأ القرآن:

قراءتنا للقرآن أهي لمجرد القراءة؟ ونيل ثواب الأحرف المتلوة فقط؟ أم هي قراءة نريد منها صلاح قلوبنا؟

فى الواقع..... أكثرنا يبحث عن الكم لا الكيف، لهذا قلّ أثر القرآن فى حياتنا!

إنه من كان قبلنا، رأوا القرآن رسائل من ربهم، فكانوا يتدبرونها بالليل، ويتفقدونها في النهار.

رجل يقول لابن عباس ربما قرأت القرآن في ليلة مرة أو مرتين، فقال ابن عباس: لأن أقرأ سورة واحدة، أعجب إليّ من أن أفعل ذلك الذي تفعل، فإن كنت فاعلاً ولا بد، فاقرأ قراءةً تسمع أذنيك، ويعيها قلبك.

فعلى الواحد منا أن يعتبر كل آية رسالة من الله، يفتحها بقلبه، ينظر ماذا يريد الله منه؟

قال الله تعالى فى سورة الحشر: (لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ)

القرآن يعظُم أثرُه في القلب إذا قُرئ بقلب، فإن قرئ بلسان لم يكد يتجاوز أثره اللسان!

تفقد قلبك بعد قراءة القرآن؛ وانظر ماذا صُنع بقلبك، فإن وجدتك تزداد إيمانًا، وإلا راجع الخلل.

يقول الحسن بن علي: الذي عاش مع القرآن؛ يدرك الفرق بين مَن يقرأ بقلبٍ، ومن يقرأ بلسان.

النبي ﷺ أعطانا معياراً دقيقاً وميزاناً واضحاً في مسألة الخيرية الإنسانية، وربطها بالقرآن قراءة وفقهاً، علماً وعملاً، فقال ﷺ: (خيركم من تعلم القرآن وعلمه)[16] وهذه شهادة من النبي ﷺ ، ممن لا ينطق عن الهوى في فضيلة تعلم القرآن وتعليمه، خيركم أي خير هذه الأمة من تعلم القرآن، وليس التعلم هنا فقط تعلم الألفاظ، إنما هو تعلم اللفظ مع المعنى، فإقبال المرء على القرآن دليل واضح على خيريته، وله من الخيرية بقدر هذا الإقبال، فالذي يُقبل فقط على حفظ القرآن، فيه من الخيرية ما يقابل الحفظ فقط، والذي يقبل على حفظه وفهم معناه وتدبره واستنباط الأحكام منه، هذا فيه من الخيرية ما ليس في غيره، والذي يُقبل عليه حفظاً وفهماً وتدبراً ويعقد ذلك بالعمل، هذا فيه من الخير ما ليس في غيره وهلم جرّاً..

فبقدر أخذك للقرآن علماً وعملاً ودعوة، بقدر ما يكون معك من الخير وبقدر ما يحصل لك الكمال.

إذاً هي مراتب: التعلم والفهم..... ثم التعليم والدعوة،

ولو بالقليل منه، فبه تحفظ الشريعة وتقام الأخلاق ويصلح الكون.

والعجيب أيها الإخوة أنك إذا نظرت إلى سير العلماء على اختلاف أزمانهم ودرجاتهم في العلم ونفعهم للأمة، تجد أنهم في آخر أوقاتهم يتحسرون ويندمون على عدم الإشتغال بالقرآن، وودوا لو أنهم أعطوا

16 (?) أخرجه البخاري من حديث عثمان بن عفان في كتاب فضائل القرآن برقم 4639.

القرآن من النظر والبحث والتأليف والقراءة ما ليس لغيره من العلوم، وذلك لما وجدوا في القرآن من الأثر والنفع.

فإن في القرآن من العلم ما ليس في غيره، يكفي قول الله جل وعلا في ذكر القرآن ﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾[17] وقد طلب الكفار من النبي ﷺ الآيات والمعجزات، فجاءهم الجواب في قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ ﴾[18] .

فالكتاب هو أعظم آيات الأنبياء،

أعظم حجة وأعظم برهان،

لكنه حجة وبرهان لمن تدبره وتأمله وأقبل عليه بعقله وقلبه، ويريد منه وبه الهداية والرشد.

****

17 (?) العنكبوت: 49

18 (?) العنكبوت: 51

فى ظلال التدبر

القرآن والفطرة:

إن طريقة القرآن في مخاطبة الفطرة البشرية تدل بذاتها على مصدره . . إنه المصدر الذي صدر منه الكون. فطريقة بنائه هي طريقة بناء الكون. فمن أبسط المواد الكونية تنشأ أعقد الأشكال، وأضخم الخلائق . .

الذرة يظن أنها مادة بناء الكون، والخلية يظن أنها مادة بناء الحياة . .

والذرة على صغرها معجزة في ذاتها. والخلية على ضآلتها آية في ذاتها. .

وهنا في القرآن يتخذ من أبسط المشاهدات المألوفة للبشر مادة لبناء أضخم عقيدة دينية وأوسع تصور كوني، المشاهدات التي تدخل في تجارب كل إنسان: النسل. والزرع. والماء. والنار. والموت. .

أي إنسان على ظهر هذه الأرض لم تدخل هذه المشاهدات في تجاربه؟ أي ساكن كهف لم يشهد نشأة حياة جنينية، ونشأة نبتة. ومسقط ماء. وموقد نار. ولحظة وفاة؟ . . بالإضافة إلى الإشارة إلى مواقع النجوم!

من هذه المشاهدات التي رآها كل إنسان يُنشئ القرآن العقيدة، لأنه يخاطب كل إنسان في كل بيئة. .

وهذه المشاهدات البسيطة الساذجة عندك، هي فى حقيقتها أضخم الحقائق الكونية، وأعظم الأسرار الربانية –– وهي في بساطتها تخاطب فطرة كل إنسان .

وهي موضوع دراسة من أعلم وأعظم العلماء إلى آخر الزمان :

مواقع النجوم تعني هندسة الكون!

نشأة الحياة الإنسانية . . هي سر الأسرار،

نشأة الحياة النباتية . . هي كالحياة الحيوانية معجزة المعجزات!

والماء، أصل الحياة ..... والنار، المعجزة التي صنعت الحضارة الإنسانية!

****

القانون اللغوي:

اكتشف العلماء قانوناً لغوياً في القرآن الكريم ينطبق على جميع السور بلا استثناء.

عندما قام العلماء بإنجاز أكبر برنامج لإحصاء القرآن الكريم، وجدوا شيئاً غريباً في كل سورة من سور القرآن وعددها 114 سورة. فكل سورة من سور القرآن تحوي كلمات خاصة بها لم تُذكر في أي سورة أخرى، وهذا القانون ينطبق على 114 سورة بلا استثناء.

فسورة الفاتحة: تحوي كلمتين هما: إياك – نستعين، لا نجدهما إلا في سورة الفاتحة فقط، وكأن الله يريد أن يذكّرنا بأن استفتاح أى عمل، القرآن وغيره، أن تستعين والاستعانة لا تكون إلا بالله عز وجل.

سورة البقرة: تحوي 647 كلمة خاصة بهذه السورة لم تذكر في أي سورة أخرى(حسب الرسم الأول للقرآن) مثل: (الخيط – قثائها – فومها – عدسها – بصلها...إلخ).

سورة آل عمران تحوي 289 كلمة خاصة بها لم تتكرر في أي سورة أخرى مثل (حصوراً – محرراً – نبتهل...)،

حتى السور القصيرة في آخر القرآن تحوي نفس القاعدة.

فسورة الإخلاص تحوي 3 كلمات خاصة بها (الصمد – يلد – يولد) وكأن الله تعالى اختص هذه السورة ليؤكد أنه لم يلد ولم يولد، مع العلم أنه كان من الممكن أن تذكر كلمة "يلد" أو "يولد" في سور أخرى ذُكر فيها ولادة المسيح عليه السلام وولادة مريم عليها السلام وولادة إسماعيل وإسحاق ويحيى عليهم السلام... ولكن هاتين الكلمتين (يلد – يولد) فقط ذكرتا في سورة الإخلاص وبصيغة النفي، ليذكرنا كلما قرأنا هذه السورة بأنه لم يلد ولم يولد.

سورة الكوثر والتي تتألف من 10 كلمات فقط، فتحوي خمس كلمات خاصة بها لم تذكر في أي سورة أخرى وهي (أعطيناك – الكوثر – انحر – شانئك – الأبتر) فكلمة الكوثر مثلاً كان من الممكن أن ترد في سور أخرى، ولكن الله تعالى اختص سورة الكوثر بهذه الكلمة وسماها سورة الكوثر.

وأيضاً كل سورة من سور القرآن الكريم تحوي كلمات لها علاقة بمضمون هذه السورة، ولم تذكر إلا في هذه السورة.. وغالباً ما تكون اسم السورة. .

فكلمة **(قريش)** لم تُذكر إلا في سورة قريش.. وكلمة **(الماعون)** لم تُذكر إلا في سورة الماعون....

كلمة **(الفلق)** لم تذكر إلا في سورة الفلق.. كلمة **(العاديات)** لم تذكر إلا في سورة العاديات.

كلمة **(الهمزة)** لم تذكر إلا في سورة الهمزة..... كلمة **(القدر)** لم تذكر إلا في سورة القدر

كلمة **(التين)** لم تذكر إلا في سورة التين ..... كلمة **(المطففين)** لم تذكر إلا في سورة المطففين.

كلمة **(الطارق)** لم تذكر إلا في سورة الطارق ... كلمة **(النازعات)** لم تذكر إلا في سورة النازعات

كلمة **(المرسلات)** لم تذكر إلا في سورة المرسلات ..... كلمة **(المدثر)** لم تذكر إلا في سورة المدثر

كلمة **(التغابن)** لم تذكر إلا في سورة التغابن.. كلمة **(الذاريات)** لم تذكر إلا في سورة الذاريات

كلمة **(الأحقاف)** لم تذكر إلا في سورة الأحقاف ..... كلمة **(جاثية)** لم تذكر إلا في سورة الجاثية ...

كلمة **(النحل)** لم تذكر إلا في سورة النحل ... كلمة **(النمل)** لم تذكر إلا في سورة النمل ....

كلمة **(العنكبوت)** لم تذكر إلا في سورة العنكبوت ..... كلمة **(الفيل)** لم تذكر إلا في سورة الفيل ....

كلمة **(الكهف)** لم تذكر إلا في سورة الكهف ..... كلمة **(الشعراء)** لم تذكر إلا في سورة الشعراء

كلمة **(لقمان)** لم تذكر إلا في سورة لقمان.. كلمة **(سبأ)** لم تذكر إلا في سورة سبأ .....

كلمة **(مائدة)** لم تذكر إلا في سورة المائدة.

** إنها معجزة تظهر اليوم لتقيم الحجة على كل ملحد مستكبر وتنطق بالحق بأن هذا القرآن لا يمكن أن يكون كلام بشر.. وأنه لا يمكن لأحد أن يأتي بمثله.

قال تعالى: { قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا } [الإسراء: 88]

وأما القصص القرآني:

ففيه جمال واستئناس وتاريخ وفوائده كثيرة:

- فهو معارض للعظة والعبرة، بالمآل والنهاية !
- ومحطات لرفع الإدراك والوعي وشحذ الهمم، بالمثال والدرس !
- وأدوات لإيقاظ القلوب والارتقاء بالعقول،
- ومدارس لإنقاد الإنسان، بعرض التجارب المليئة بالدروس المفيدة،
- ومصانع للمقاييس الصحيحة للسلوك ومؤشرات الأداء،
- ودورات تدريبية على الصبر والمثابرة والاستمرار والثبات،
- ومؤثرات لزيادة الحساسية والخوف من عقاب الله،
- وصافرات إنذار بالهلاك وسوء المصير للعاصين.
- وأناشيد مبشرة بالنجاة والمصير الحسن للصالحين..

****

سورة " يس " مثال للتدبر :

يقول الدكتور راتب النابلسي–: توقفت كثيرًا في سورة يس، فوجدت فيها أمرًا ربما لا نلتفت إليه كثيرًا، يقول: ترتبط سورة يس بالموت عند كثير من المسلمين... غالبًا ما تجد أهل المتوفي يعكفون على قراءة سورة يس يوم الوفاة لعل الله ينفع بها الميت، والأوفياء منهم يواظبون عليها عدة أيام بعد وفاة

عزيز عليهم، لكني ألتفت إلى أمر مهم في سورة يس .... قال الله عن القرآن الكريم (لِيُنذِرَ من كان حيّاً) ولم يقل لينفع من كان ميتًا!

لست أناقش هاهنا موضوع انتفاع الميت بقراءة الحي للقرآن، ولكني ألتفت إلى أننا أغفلنا الحكمة الأعظم فى القرآن (لينذر من كان حيًا)، ثم جعلت أتساءل ... كم من الأحياء الذين قرؤوا سورة يس انتفع بها؟ كم منهم تعلم منها ولو معنى واحد؟ كم منهم أثرت في حياته وغيرت منها شيئًا ؟ هؤلاء الألوف الذين يقرؤونها كل يوم .. ماذا صنعوا بها ياترى؟ ثم سألتني ... ماذا صنعت أنت بها ؟

****

تدبر ابن باديس فى تفسيره:

يلح ابن باديس على البعد السنني فى القرآن ويركز، بشكل خاص على أن الأخذ بالأسباب فى الدنيا هو السبيل الموصل إلى الأهداف، وأن اختلاف الاعتقادات لا دخل له في النجاح أو الفشل أو الرزق، وقد أفادت الآيات كلها أن الأسباب الكونية التي وضعها الله تعالى في هذه الحياة وسائل لمسبباتها، موصلة بإذن الله تعالى، لمن تمسك بها إلى ما جُعلت وسيلة إليه، بمقتضى أمر الله وتقديره وسنته في نظام هذه الحياة والكون، ولو كان ذلك المتمسك بها لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر ولا يصدّق المرسلين. *(من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها ذموما مدحورا، ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأؤلئك كان سعيهم مشكورا، كلاً نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك، وما كان عطاء ربك محظورا* (18-20) *الإسراء*. ومن مقتضى هذا أن

من أهمل تلك الأسباب الكونية التقديرية الإلهية، ولم يأخذ بها لم ينل مسبباتها ولو كان من المؤمنين، وهذا معلوم ومشاهد من تاريخ البشر في ماضيهم وحاضرهم. وينبه في مواضع أخرى إلى أن الأخذ بالأسباب باحترام سنن الله ليس قاصرا على الأفراد بل يشمل المجتمعات والدول أيضا، ولله سنن نافذة بمقتضى حكمته ومشيئته في ملك الأرض وسيادة الأمم: (يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء، ويعز من يشاء، ويذل من يشاء)، من أخذ بنوع من تلك السنن بلغت به وبلغ بها، إلى ما قدر له من عز وذل وسعادة وشقاء وشدة ورخاء، وكل محاولة لصدها عن غايتها، وهو آخذ بها، مقضي عليها بالفشل.

ويبرز البعد السنني عند ابن باديس، واضحاً أيضاً في معالجته للمفاهيم الخاطئة والتصورات المنحرفة التي غلبت على العقول بتأثير من التيار الصوفي المتطرف والمنحرف الذي طغى على الساحة الإسلامية خلال القرون الأخيرة، حيث تناول بالنقد والاستنكار ما درج عليه بعض الناس من الاعتقاد بأن الله يحبب إليهم الفرار إليه، وترك الدنيا واعتزال المجتمع لينالوا رضاه، وأكد أن البشر في الحياة الدنيا قد تساووا في الخِلقة، وفي العقل المميِز المفكر، وفي الإرادة الحرة، وفي التمتع بطيبات الحياة الدنيا، لأن ربهم هو العدل المطلق، فكل واحد يأخذ حظه من هذه النعم بقدر أخذه بالأسباب الموصلة إليها، يتساوى في ذلك المؤمن والكافر، لأن الله تعالى لم يجعل العصيان سببا لمنع الرزق، ويخلص إلى أن الآية أفادت، أن أسباب الحياة والعمران والتقدم فيها مبذولة للخلق

على السواء، وأن من تمسّك بسبب بلغ . بإذن الله . إلى مسبّبه، سواء أكان برا أو فاجرا، مؤمنا أو كافرا. ويضرب لذلك مثلا بالمسلمين حينما فقهوا كتاب ربهم وتدبّروا معانيه بعمق وتشبعوا بالثقافة السننية فأخذوا بأسباب التقدم فنبغوا في العلوم، وبرعوا في الصنائع، وبهما سادوا العالم أجمع، وقد تأخروا حتى كادوا يكونون دون الأمم كلها بإهمال تلك الأسباب فخسروا دنياهم وخالفوا مرضاة ربهم وعوقبوا بما هم عليه اليوم من الذل والانحطاط، ولن يعود إليهم ما كان لهم إلا إذا عادوا إلى امتثال أمر ربهم في الأخذ بتلك الأسباب. ويعقّب على ذلك بأن إدراك المسلم للأسباب الحقيقية التي أوصلته إلى هذا الدرك الأسفل من التأخر هو الذي يفتح بصيرته ويمكّنه من تفسير الأحداث تفسيراً صحيحاً، وفهم الواقع الذي يعيشه فهماً صائباً، ويعي تماماً لماذا تخلف المسلمون وتقدم الغربيون في ضوء سنن الله التي لا تحابي أحداً، وحتى لا يذهب الجهل به إلى التساؤل عن خذلان المؤمنين وعندهم الحق، وانتصار الكفار وهم على باطل وانحراف، فهذه الآية من أنجع الدواء لفتنة المسلم المتأخر بغيره المتقدم، لما فيها من بيان أن ذلك المسلم ما تأخر بسبب إسلامه وأن غيره تقدم بعدم إسلامه، لأن السبب في التقدم والتأخر هو التمسك أو الترك للأسباب، ولو أن المسلم تمسك بها كما يأمره الإسلام، لكان . مثل سالف الأيام . سيد الأنام. (*انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا*) الإسراء: 21 .

تدبر جاري ميلر صاحب كتاب (القرآن المُعجِز)..

عام 1977 قرر الدكتور جاري ميلر المبشر الكندي النشيط وأستاذ الرياضيات والمنطق في جامعة تورنتو أن يقدم خدمة جليلة للمسيحية بالكشف عن الأخطاء العلمية والتاريخية في القرآن الكريم، بما يفيده وزملاؤه المبشرين عند دعوة المسلمين للمسيحية، ولكن الرجل الذي دخل بمنطق تصيد الأخطاء وفضحها، غلب عليه الإنصاف وخرجت دراسته وتعليقاته أفضل مما يمكن أن يكتبه معظم المسلمين دعاية للكتاب الحكيم، ذلك أنه أحسن 'تدبر القرآن'.

وكان أول ما أذهله: هو صيغة التحدي التي برزت له من في مواضع كثيرة من مثل' **'ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً'**، **والآيات 'فأتوا ب...."سورة من مثله'، 'عشر آيات'، 'آية'**، دخل الرجل الحلبة متحدياً وخرج منها منبهراً بما وجده. واستعرض فيما يلي بعضاً من نتائج تدبره كما جاء في كتابه: **'القرآن المعجز':**

1- يقول د. ميلر: 'لا يوجد مؤلف في العالم يمتلك الجرأة ويؤلف كتاباً ثم يقول هذا الكتاب خال من الأخطاء ولكن القرآن على العكس تماماً، يقول لك لا يوجد أخطاء، بل يتحداك أن تجد فيه أخطاء ولن تجد.'

2- لا يستعرض القرآن أيضاً من الأحداث العصيبة التي مرت بالنبي ﷺ مثل وفاة زوجته خديجة أو وفاة بناته وأولاده. بل الأغرب أن الآيات التي نزلت تعقيباً على بعض النكسات في طريق الدعوة، كانت تبشر بالنصر، وتلك التي نزلت تعقيباً على الانتصارات كانت تدعو إلى عدم

الاغترار والمزيد من التضحيات والعطاء. لو كان أحد يؤرخ لسيرته لعظم من شأن الانتصارات، وبرر الهزائم، ولكن القرآن فعل العكس تماماً، لأنه لا يؤرخ لفترة تاريخية بقدر ما يضع القواعد العامة للعلاقة مع الله والآخرين.

3- توقف ميلر عند قوله تعالى: (قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ)، مشيراً إلى التجربة التي أجراها أحد الباحثين في جامعة تورنتو عن 'فعالية المناقشة الجماعية'، وفيها جمع أعداداً مختلفة من المناقشين، وقارن النتائج فاكتشف أن أقصى فعالية للنقاش تكون عندما يكون عدد المتحاورين اثنين، وأن الفعالية تقل إذا زاد هذا العدد.

4- هناك سورة كاملة في القرآن تسمى سورة مريم وفيها تشريف لمريم عليها السلام بما لا مثيل له في الكتاب المقدس، بينما لا توجد سورة باسم عائشة أو فاطمة. وكذلك فإن عيسى عليه السلام ذُكر بالاسم 25 مرة في القرآن في حين أن النبي محمد ﷺ لم يذكر إلا 5 مرات فقط.

5- يرى المنكرون للوحي وللرسالة أن الشياطين هي التي كانت تملي على الرسول ﷺ ما جاء به، والقرآن يتحدى: 'وما تنزلت به الشياطين، وما ينبغي لهم وما يستطيعون'. فهل تؤلف الشياطين كتاباً ثم تقول لا أستطيع أن أؤلفه، بل تقول: إذا قرأت هذا الكتاب فتعوذ مني؟

6- لو كنت في موقف الرسول ﷺ هو وأبي بكر محاصرين في الغار، بحيث لو نظر أحد المشركين تحت قدميه لرآهما. ألن يكون الرد الطبيعي على خوف أبي بكر: هو من مثل 'دعنا

نبحث عن باب خلفي'، أو 'أصمت تماماً كي لا يسمعك أحد'، ولكن الرسول ﷺ قال بهدوء: لا تحزن إن الله معنا'، 'الله معنا ولن يضيعنا'. هل هذه عقلية كذاب أو مخادع، أم عقلية نبي ورسول يثق بعناية الله له؟

7- نزلت سورة المسد قبل وفاة أبي لهب بعشر سنوات. وكان أمامه 365 × 10 = 3650 فرصة لإثبات أن هذا الكتاب وهم، ولكن ما هذا التحدي؟ لم يسلم أبو لهب ولو بالتظاهر، وظلت الآيات تتلى حتى اليوم. كيف يكون الرسول ﷺ واثقاً خلال عشر سنوات أن ما لديه حق، لو لم يكن يعلم أنه وحي من الله؟

8- وتعليقاً على قوله تعالى 'ما كنت تعلمها أنت ولا قومك' تعقيباً على بعض القصص القرآني، يقول ميلر: 'لا يوجد كتاب من الكتب الدينية المقدسة يتكلم بهذا الأسلوب، إنه يمد القارئ بالمعلومة ثم يقول له هذه معلومة جديدة!! هذا تحد لا مثيل له؟ ماذا لو كذبه أهل مكة – ولو بالادعاء – فقالو: كذبت كنا نعرف هذا من قبل. ماذا لو كذبه أحد من الباحثين بعد ذلك مدعياً أن هذه المعلومات كانت معروفة من قبل؟ ولكن كل ذلك لم يحدث.....

****

وأخيراً يشير د. ميلر إلى ما ورد في الموسوعة الكاثوليكية الجديدة تحت موضوع 'القرآن'، وكيف أنها ورغم تعدد الدراسات والمحاولات للغمز في صدق الوحي القرآني، (مثل أنه خيالات مريض أو نفث

شياطين، أو كان يعلمه بشر، أو أنه وقع على كتاب قديم، ... الخ)، إلا أنها انتهت إلى: 'عبر القرون ظهرت نظريات كثيرة حول مصدر القرآن، إلا أن أيّ من هذه النظريات لا يمكن أن يعتد به من رجل عاقل'. ويقول د. ميلر إن الكنيسة التي كان بودها أن تتبنى إحدى هذه النظريات التي تنفي صدق الوحي، لم يسعها إلا أن ترفض كل هذه النظريات، ولكنها لم تملك الجراءة على الاعتراف بصدق نظرية المسلمين.

****

وأما أنا، لا أدري هل أقول: جزاك الله خيراً يا دكتور ميلر على هذا التدبر المنصف لكتاب الله؟ أم أنادي كل الشانئين المبغضين أن يطلعوا على ما كتبه هذا الرجل؟ أم أطلب من المهتمين بمواضيع الإعجاز القرآني أن يضيفوا إلى مناهجهم هذا المنهج من 'محاولة كشف الأخطاء' بما يثبت التحدي، ويؤكد الإعجاز 'ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً'.

والآن كان هذا البحث خلال عام 1977 ولكن ما حدث أن عام 1978 أشهر الدكتور ميلر إسلامه واتخذ اسم عبد الأحد عمر، وعمل لسنوات في جامعة البترول والمعادن بالسعودية قبل أن يتفرغ تماماً للدعوة للإسلام وتقديم البرامج التليفزيونية والإذاعية والمحاضرات العامة التي تعرض الإسلام عقيدة وشريعة.

التدبر والعمل وحال السلف بالقرآن

إن السلف الصالح أيها الإخوة، هم الصحابة بالدرجة الأولى، هم الذين شهدوا التنزيل وأخذوه عن النبي ﷺ، هم الذين اصطفاهم الله جل وعلا وخصهم بأن جعلهم أصحاب رسول الله ﷺ ، هؤلاء هم السلف بالدرجة الأولى ويلحقهم في الفضل من أثبت رسول الله ﷺ لهم الفضل حيث **قال**: "خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم" [19] فالتابعون وتابعوهم، ممن يندرج في مسمى السلف لأنهم ممن أثبت لهم النبي ﷺ الخيرية على سائر قرون الأمة. والخيرية في هذه الأمة لا يحصرها مكان ولا زمان، بل هي باقية، فالله جل وعلا قد أثبت الخيرية لمن اتبع المهاجرين والأنصار بإحسان فقال جل وعلا: ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ﴾[20] فإتباع سلف الأمة بإحسان، ينظمك في سلكهم ويضمك إلى حزبهم، ولو لم تكن معهم في زمانهم ولو افترقت عنهم في مكانهم، بل تشاركهم في الفضائل إذا شاركتهم في الأعمال.

أيها الإخوة الكرام إن هذا الكتاب كما ذكرت، فرح به السلف فرحاً عظيماً فأقبلوا عليه، ولم يشبعوا من تلاوته ولا من قراءته، ففي أحوالهم وأمورهم وما نُقل عنهم وما نقلته كتب السير من أعمالهم، ما يتبين به عظيم فرحهم بهذا الكتاب وعظيم إقبالهم عليه وعظيم ما كانوا عليه من تعظيم لهذا الكتاب العظيم.

---

19 (?) أخرجه البخاري برقم 651 وأخرجه مسلم برقم 2535.

20 (?) التوبة: 100.

من أحوال الصالحين والسلف مع العمل بالقرآن:

القرآن والعمل به متلازمان، لم يمتدح القرآن من غير الأنبياء أحداً لكثرة علمه، بقدر ما امتدح أصحاب العمل وخلد أسماءهم، حتى لو لم يكونوا علماء. نعم، لقد حث الإسلام على العلم، وجعل له الأجر الجزيل، لكنه فى كل مرة قرنه بالعمل ومدافعة الباطل، وإلا كان العالِم مجرد فلاشة أو كمبيوتر تأخذ منه كلاماً أجوف لاروح فيه. وضرب القرآن في ذلك الأمثلة وقص القصص:

مؤمن آل فرعون كان تميزه فى إيجابيته وجهره بالحق فى وجه الظالم وتعريض نفسه لفقد مكانته كواحد من كبار القوم، لكنه لم يبالى. **والرجل الذى جاء من أقصى** المدينة يسعى لينذر موسى، خلد الله ذكره وفعله وإيجابيته. **وسحرة فرعون** ماتوا شهداء ولم يعلموا شيئا من شريعة موسى لكنهم كانوا خيراً من أصحاب موسى وعلماء بنى اسرائيل. وحتى **الرجل الصالح في سورة الكهف** والذى آتاه الله علماً، لم يكن علمه سبب تميزه الرئيسى وإنما تميز بإيجابيته وعمله الصالح واستغلال علمه فى إصلاح ما حوله رغم ما كان يمكن أن يتعرض له من نقمة أصحاب السفينة وانتقام أهل الغلام وبذل الجهد والوقت فى إصلاح الجدار. ولقد كان العلم مع العمل سبب تميز **ابن تيمية وابن حنبل والبنا**، ولو لم يكونوا واقفين ضد الباطل بكل قوة فى زمانهم، وإن سُجنوا وجُلدوا وقتلوا، لما كان لعلمهم قيمة.

لقد كان العلم دون عمل سبب بلاء بنى إسرائيل، وذمهم القرآن لانشغال علمائهم بكثرة الخلافات الفقهية والجدل الفارغ الذي لا ينبني عليه عمل، وعليه فلا تغتر بأهل الكلام وعنعنات الأحاديث وحفاظ المتون

مهما طالت لحاهم وقصرت أثوابهم وكثرت جدالاتهم وادعائهم للعلم، ما لم ينبنى على ما يقولونه عمل وتعمير للأرض ومجابهة للباطل ومدافعة للظالمين، وإن كانوا متمكنين علمياً من وجهة نظرهم، .. وحين ترى من ينشغل بأحكام رضاع الكبير، عن ظلم الكبير والصغير فاعلم انه مُدلس. وحين ترى من ينشغل بشكل اللحية ويقيم الدنيا عليه، ولا يلتفت بكلمة لنتف اللحية تحت التعذيب فاعلم أنه مجرد نصاب. وحين ترى من ينشغل الأيام والليالى فى حكم تقصير الثياب للرجال، ولا يتحدث للمسئولين عن العاريات فى المهرجانات ومشاهد الجنس فى أفلام السينما فاعلم أنه كذاب. وحين ترى من يصرخ على منبره متهماً وناصحاً الشعوب بأنهم سبب البلاء لتقصيرهم فى جنب الله، ولا ينصح المقصرين فى جنب الله وفى جنب الرعية فاعلم أنه ثعلب يلبس جلد شيخ وأفعى تتسلل لتفسد الدنيا والدين، واعلم أن ذلك لأن القرآن لم يمس قلوبهم ولم يجاوز حناجرهم.

إن وقفةً أخرى مع بعض أحوال السلف الصالح يتبين بها ما كانوا عليه رحمهم الله من حسن التعامل مع هذا القرآن، وليس عجباً فإن السلف الذين نتندر بما كانوا عليه من الفضائل ونتعجب مما كانوا عليه من السبق كانوا رضي الله عنهم على هذه المنزلة وبلغوا هذه المرتبة بما ارتسموه من قول الله جل وعلا في كتابه، وتوجيه النبي ﷺ في سيرته. ولقد نزل القرآن فيهم معالجاً لأمراضهم وما كان من الوقائع في أزمانهم، ولذلك كانوا رضي الله عنهم يتوقعون ويترقبون ويخافون أن ينزل شيء من القرآن يبين شيئاً من

عوراتهم أو يكشف شيئاً مما يكرهونه أو يكون سبباً لهلاك بعضهم فكانوا رضي الله عنهم على غاية الحذر والوجل في نزول القرآن وفي تلقيه، ولذلك كانت أحوالهم مستقيمة رضي الله عنهم جميعاً.

إن منزلة القرآن أيها الإخوة، عند السلف مقدمة على سائر العلوم، ولذلك كانوا لا يشتغلون مع القرآن بشاغل وقد صح عن النبي ﷺ أنه منع كتابة الحديث حتى استقر الأمر وحفظ القرآن عن غيره من الكلام، وقيل: إن منع النبي ﷺ عن كتابة غير القرآن في وقته ﷺ إنما كان ليتميز القرآن عن غيره، ولئلا يشتغل الناس بغير القرآن، حتى بقوله ﷺ.

وقد تنبه الصحابة إلى هذا الأمر وهذه المنزلة، فكان القرآن عندهم بالدرجة الأولى حتى إنهم كانوا يقولون: "إذا حفظ الرجل فينا سورة البقرة جَدٌ عندنا"، أي عظم وارتفع قدره وكان له من المنزلة ما ليس لغيره، لأنها السورة التي تضمنت منهج الحياة والأحكام الكثيرة والأوصاف العظيمة لرب العالمين، ففيها آية الكرسي التي هي أعظم آية في كتاب الله جل وعلا.

المهم أن الصحابة كانوا لا يعدلون بالقرآن شيئاً والناظر في أحوال كثير ممن يشتغلون بالعلم في هذه الأزمنة يجد أنهم عن القرآن معرضون، والإعراض ليس إعراض هجر وبعد، إنما هو إعراض تدبر وإعراض فهم للمعنى، وعدم الإقبال على ما قاله أهل العلم العاملين عن هذا الكتاب الحكيم.

الصحابة رضي الله عنهم كانوا إذا نزلت الآية تلقوها على الوصف السابق ثم كان الإقبال على سائر العمل الصالح. وكان إذا عاتبهم الله جل وعلا، وجد منهم الإنزجار كما قال الله جل وعلا في قوله: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾[21] فكان الصحابة رضي الله عنهم يُعاتَبون بالقرآن فيحصل منهم الاستعتاب، يحصل منهم المراجعة، يحصل منهم إصلاح الخطأ إذا نزلت بهم مصيبة أو نزلت بهم هزيمة، كما جرى في أُحُد، وطلبوا السبب، جاءهم الجواب كما قالوا في غزوة أحد ﴿أَنَّى هَذَا﴾ أي من أين أُتينا؟ قال الله جل وعلا في بيان ذلك: ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾[22] . فالقرآن في حياة الصحابة يختلف عنه تماماً في حياة غيرهم، ولذلك تميزوا عن غيرهم تميزاً سابقاً واضحاً، لا يُلحَق مقامُهم ولا يُدرك شرفُهم رضي الله عنهم، لكن كل من سلك سبيلهم ممن اتبعهم بإحسان وسار على طريقهم، فإنه يحصل له من الفضل والخير مثلهم أو قريباً منه بإذن الله.

****

نعم كانوا يأخذونه للعمل والترقي وليس فقط للقراءة والتسلي:

السلف اهتدوا بالنبي ﷺ في قراءة القرآن وفي تلاوته وفي العمل به وفي جعله منهجاً للحياة..... سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلق النبي ﷺ ما خلقه؟ كما في الصحيح فقالت للذي سألها مستغربة ومنبهة قالت: أولستَ تقرأ القرآن؟ قال: بلى، قالت في جملة مختصرة تُجمل مسلك النبي ﷺ وهديه

21 (?) الحديد: 16.

22 (?) آل عمران: 165.

وخلقه فقالت: كان خلقه القرآن..... كان خلقه ﷺ القرآن، يعمل به في نهاره ويقوم به في ليله، فهو قائم به وعامل به، آناء الليل وآناء النهار، لا يتركه لحظة من اللحظات، بل كان يترجم القرآن ويبينه للناس بقوله وعمله وسائر شأنه ﷺ ..... والصحابة رضي الله عنهم ساروا على هذا المنوال فكانوا ينظرون إلى القرآن في كل أحوالهم وفي كل أعمالهم، ولذلك لما سُئل ابن عمر رضي الله عنه عن مسألة من مسائل الحج قال لهم: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾[23] ولم يجبهم بأن النبي ﷺ فعل أو ترك، إنما لفت أنظارهم إلى الدليل الأكبر الذي ينتظم كل فعل فعله ﷺ وكان قوله لهم: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾.

كان أحدهم يقرأ القرآن في مجلسه، يقرأ القرآن في صلاته، يقرأ القرآن في طريقه، يقرأ القرآن عند كل شأنه، وكان أحدهم يلقى أخاه في الطريق فيقول: اجلس بنا نؤمن ساعة، فيقرأ أحدهم على الآخر سورة العصر. إن هذه الأمة وهي خير أمة أخرجت للناس، إنما خرجت من بين دفتي المصحف الشريف، من بين صفحات هذا القرآن الحكيم، خرجت على ضوء توجيهات هذه الآيات المبينات وهذا القرآن العظيم. قال الله جل وعلا في وصف هذه الأمة وأول من يدخل فيها الصحابة رضي الله عنهم: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾[24] .

---

23 (?) الأحزاب: 21.

24 (?) آل عمران: 110.

نعم سَبَقَنا الصحابةُ في كيفية التعامل مع القرآن والعمل به:

لقد تعامل أصحاب النبي رضي الله عنهم مع القرآن تعاملاً، فاقوا به أمة اليوم في جوانب عديدة:

فالقرآن كان مخالطاً لحياتهم، في قلوبهم وفي مجالسهم وفي تذكرتهم وموعظتهم، فالقرآن دخل معهم في كل أمر، وكانوا رضي الله عنهم مقترنين به مقبلين عليه مشتغلين به عن غيره، فلذلك فاقوا غيرهم في الفقه، وفاقوا غيرهم في العمل، وفاقوا غيرهم في الجهاد، وفاقوا غيرهم فى فتح البلاد وتعبيد العباد لرب العباد، بل فاقوا غيرهم فيما كتب الله على أيديهم من النصر فى سننه وأخلاقه، وكل هذا كان بسبب ما كانوا عليه من تعاهد وتدبر للقرآن، والإقبال عليه والأخذ به والعمل بما جاء فيه.

- فهذا عثمان بن عفان يقول: قد رأيت من هو أعبد من حماد بن سلمة، لكن ما رأيت أشد مواظبة على الخير وقراءة القرآن والعمل لله تعالى منه رضي الله عنه.

- وقد كان عثمان رضي الله عنه ليلة مقتله تالياً لكتاب الله جل وعلا، حتى أنه ذُكر أن الذي قتله – عليه من الله ما يستحق– قتله وكان في يديه كتاب الله جل وعلا.

- وقال آخر: ما رأيت أحسن انتزاعاً لما أراد من آي القرآن من أبي سهيل بن زياد وكان جارنا وكان يديم صلاة الليل والتلاوة، فلكثرة درسه صار القرآن كأنه بين عينيه، يعني في الاستشهاد والاستفادة مما في هذا القرآن من الأحكام.

- يقول آخر في وصف ما كان عليه مالك بن أنس إمام دار الهجرة: قيل لأخت مالك بن أنس: ما كان شغل مالك بن أنس في بيته، بماذا يشتغل في بيته، بماذا يعمل في بيته قالت: المصحف والتلاوة.

- كان بعض السلف إذا اجتمع إليه أصحابه أوصاهم عند التفرق بأن لا يجتمعوا في سيرهم، بل يمشي كل واحد منهم بمفرده قال لهم: إذا خرجتم من عندي فتفرقوا لعل أحدكم يقرأ القرآن في طريقه، ومتى اجتمعتم تحدثتم فانشغلتم عن القرآن.

- ورد في حديث أنس في تحريم الخمر لما جاءوا بآية التحريم، فإذا هناك من مجّها، وهناك من قذف ما في كأسه، وهناك من كسر الدنانة، وهناك وهناك...، ثم لم يأت الصباح حتى كان أمر الخمر قد انتهى من النفوس والقلوب قبل أن ينتهي من الأيدي والأفواه.

- قالت عائشة - رضي الله عنها - تثني على نساء الأنصار: " رحم الله نساء الأنصار لما نزلت آية الحجاب عمدن إلى مروطهن فشققنها ثم ائتزرن بنصفها، واعتجرن بنصفها، فما أصبح الصباح إلا وعلى أمثال رؤوسهن كالغربان مما أسدلن من الحجاب" ... وهكذا تكون أمة الإسلام هي أمة القرآن.

- هذا أبو بكر رضي الله عنه تتهم إبنته عائشة بالزنى ويبرئها الله جل وعلا في سورة النور في قصة الإفك يبرئها الله سبحانه وتعالى ويتبين أن من جملة من رمى عائشة وتكلم فيها مسطح بن اثاثة وهو قريب لأبي بكر رضي الله عنه، كان فقيراً كان أبو بكر يصله بالإعانة ثم لما تبين الأمر وتبين براءة عائشة رضي الله عنها حلف ألا يصله شيئاً من عطاياه بعد أن فعل ما فعل، فأنزل الله جل وعلا قوله سبحانه وتعالى ﴿أَلا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾[25] فقال أبو بكر رضي الله عنه: بلى بلى. فانتهى أن

---

25 (?) النور: 22.

يمتنع مما جرت به يده رضي الله عنه من الصدقة والإحسان على مسطح بسبب ما كان منه من إساءة لعائشة رضي الله عن الجميع.

– ماذا فعل الصحابة عندما سمعوا الآية الكريمة: { لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ } آل عمران 92... والمعنى: لن تنالوا حقيقة البر، ولن تبلغوا ثوابه الجزيل الذي يوصلكم إلى رضا الله، وإلى جنته التي أعدها لعباده الصالحين، إلا إذا بذلتم مما تحبونه وتؤثرونه من الأموال وغيرها في سبيل الله، وما تنفقوا من شيء– ولو قليلا– فإن الله به عليم، وسيجازيكم عليه بأكثر مما أنفقتم وبذلتم.

روي الشيخان عن أنس بن مالك قال: كان **أبو طلحة** أكثر الأنصار بالمدينة مالاً من نخل، وكان أحب أمواله إليه **بيرحاء**– موضع بالمدينة– وكانت مستقبلة المسجد، وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماء طيب فيها. قال أنس: فلما أنزلت هذه الآية: لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون، قام أبو طلحة إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إن الله– تعالى– يقول في كتابه (لَنْ تَنالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ) وإن أحب أموالى إلى بيرحاء، وإنها صدقة الله– تعالى– أرجو برها وذخرها عند الله، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله. فقال رسول الله ﷺ بخ بخ– كلمة استحسان ومدح– ذلك مال رابح– أى ذو ربح– ذلك مال رابح. وقد سمعت ما قلت. وإنى أرى أن تجعلها في الأقربين. قال أبو طلحة: أفعل يا رسول الله. فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبنى عمه».

قال القرطبي: وكذلك فعل **زيد بن حارثة**، عمد مما يحب إلى فرس له يقال له «سبل» وقال: اللهم إنك تعلم أنه ليس لي مال أحب إلى من فرسي هذه، فجاء بها إلى النبي ﷺ فقال: هذا في سبيل الله. فقال رسول الله ﷺ لأسامة بن زيد: أقبضه، فكأن زيداً وجد من ذلك في نفسه، فقال رسول الله ﷺ « إن الله قد قبلها منك».

– وأعتق **عبد الله بن عمر** نافعاً مولاه، وكان أعطاه فيه عبد الله بن جعفر ألف دينار، قالت صفية بنت أبى عبيد: أظنه تأول قول الله– تعالى– لَنْ تَنالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ.

–وعن حمزة بن عبد الله بن عمر قال: خطرت على قلب **عبد الله بن عمر** هذه الآية (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) قال ابن عمر: فذكرت ما أعطاني الله عز وجل، فما كان شيء أعجب إلى من فلانة، هي حرة لوجه الله تعالى، قال: لولا أنني لا أعود في شيء جعلته لله لنكحتها.

– وروي عن مجاهد قال: كتب **عمر بن الخطاب** رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري أن يبتاع له جارية من سبي جلولاء يوم فتحت فدعا بها فأعجبته، فقال: إن الله عز وجل يقول: (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) فأعتقها عمر.

– وروي عن الثوري أنه بلغه أن **أم ولد الربيع بن خيثم** قالت: كان إذا جاءه السائل يقول لي: يا فلانة أعطي السائل سكراً، فإن الربيع يحب السكر. قال سفيان: يتأول قوله جل وعز: لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون.

- وروي عن **عمر بن عبد العزيز** أنه كان يشتري أعدالاً من سكر ويتصدق بها. فقيل له: هلا تصدقت بقيمتها؟ فقال: لأن السكر أحب إلي فأردت أن أنفق مما أحب. وقال **الحسن:** إنكم لن تنالوا ما تحبون إلا بترك ما تشتهون، ولا تدركوا ما تأملون إلا بالصبر على ما تكرهون.

- امرأة من بني تميم، وكانت سيدة فاضلة مؤمنة، فكانت لا تشقُ علي مولاها في الخدمة، حيث كان يخدمها بعض النهار ويرتاح في بعضه الآخر، فتعلم –مع حفظ القرآن– القراءة والكتابة، وطلب العلم، وحمل فى رأسه بعد القرآن– حديث رسول الله ﷺ، ولما ذهب في أحد أيام الجُمَع لصلاة الجمعة، خرجت معه (أى هذه المرأة) وقالت أمام الناس: "اشهدوا يا معشر المسلمين، أني أعتقت غلامي هذا رغبة في ثواب الله، وطمعاً بعفوه، وليس لأحد عليه من سبيل إلا سبيل المعروف"، ثم نظرت إليه وقالت: "اللهم إني أدخرهُ عندك ليوم لا ينفع فيه مال ولا بنون".

وكان هذا احتراماً وتقديراً للقرآن الذي يحمله.

****

- **أبو العالية رفيع بن مهران** **يقول عن نفسه:** "تعلمتُ الكتابة والقرآن فما شعرَ بي أهلي، ولا رأوا في ثوبي مداداً قط؟" وهو الإمام المقرئ الحافظ، المفسر الرياحي البصري، أحد أعلام التابعين، أدرك زمن النبي ﷺ وأسلم في خلافة أبي بكر الصديق، ودخل عليه، وسمع من عدد من الصحابة منهم عمر، وعلي، وأبي، وأبى ذر، وابن مسعود، وابن عباس، وغيرهم كثير، وقرأ القرآن على أبي بن كعب وابن

عباس، بل وعلى عمر بن الخطاب، فقد روي عنه أنه قال: "قرأت القرآن على عمر رضي الله عنه ثلاث مرات"، ومع حفظ القرآن وقراءته كان علماً من أعلام الحديث. ولقد رفعه الله بالقرآن، وبالعلم بحديث رسول الله ﷺ، فقد دخل مرةً على ابن عباس رضي الله عنهما وهو أمير البصرة لعلي رضي الله عنه فرحب به ورفع منزلتهُ، وأجلسه على سريره عن يمينه، وكان في المجلس طائفة من سادة قريش، فتغامزوا به وتهامسوا بينهم، وقال بعضهم لبعض: "أرأيتم كيف رفع ابن عباس هذا العبد على سريره؟" فأدرك ابن عباس ما يتغامزون به، فالتفت إليهم وقال: "إنَّ العلم يزيدُ الشريف شرفاً، ويرفع قدر أهله بين الناس، ويجلس المماليك على الأسرة".

وقد رفع الله **أبا العالية** بالقرآن حتى قال أبو بكر بن أبي داود: "ليس أحد بعد الصحابة أعلم بالقرآن من أبي العالية وسعيد بن جبير".

****

وتعالوا نقف مع بعض وصايا أبي العالية وأحواله مع القرآن وكيف أثر القرآن فيه:

1-كان يعلم أصحابه كيف يتعلمون القرآن، فقد روى عنه أبو نعيم أنه كان يقول: "تعلموا القرآن خمس آيات، فإنه أحفظ لكم، وإن جبريل كان ينزل به خمس آيات خمس آيات"، وهذا منهج تعليمي تربوي.

2-وكان مهتماً بالصلاة وإقامتها لأنها عمود الإسلام، فكان يزن الناس بها، فقد روى عنه أن قال: "كنت أرحل إلى الرجل مسيرة أيام لأسمع منه، فأتفقد صلاته، فإن وجدتهُ يحسنها أقمت عليه، وسمعت الحديث منه والعلم، وإن أجدهُ يضيعها، رحلت ولم أسمع منه"، وقلت: "هو لما سواها أضيع". وإنَّ الصلاة لميزان صحيح ودقيق للرجال، وكم من رجلٍ يقال ما أعقله وما أذكاه وغيرها من صفات المدح، ثم تفتش عنه، فتجده لا يعرف المساجد.

3-ولقد أوصى بلزوم القرآن وتعاهده، ونهى في مقابل ذلك عن الأهواء والبدع. روي عنه أنه قال: "تعلموا القرآن، فإذا تعلمتموه فلا ترغبوا عنه، وإيَّاكم وهذه الأهواء، فإنَّها توقع العداوة والبغضاء بينكم، ولا تحيدوا عن الأمر الذي كان عليه صحابة رسول الله ﷺ ولما نقل هذا للحسن البصري، قال: "لقد نصحكم أبو العالية والله وصدقكم".

4-وكان يعلم أصحابه حقائق القرآن في جوانب الحياة وسعادتها، فقد رُوي عنه أنَّهُ قال: "إنَّ الله تعالى قضى على نفسه أن من آمن به هداه"، وتصديق ذلك في كتاب الله: {وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [التغابن من الآية:11]. وأن من توكل عليه كفاه، وتصديق ذلك في كتاب الله: {وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ} [الطلاق:3]. وأن من أقرضهُ جازاه، وتصديق ذلك في كتاب الله: {مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [البقرة من الآية:245]. وأن من دعاه أجابه، وتصديق ذلك في كتاب الله: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي

فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ} [البقرة من الآية:186].

5-وكان إماماً مجاهداً، حارب الروم في بلاد الشام، كما حارب الفرس في بلاد ما وراءِ النهر، وكان أوَّل من رفع الأذان في تلك الديار -بعد فتحها-. ولما أراد في إحدى السنين المسير للجهاد في سبيل الله، وأعدَّ عُدته للجهاد، إذا به يجد آلاماً شديدة في رجله، ولم يزل الألم يشتدُّ، فجاءهُ الطبيب وقال له: "إنهُ مصابٌ بالآكلة"، قال: "وما الآكلة؟" قال: "داءٌ يأكل العضو الذي يحل به، ثم ينتقل إلى ما فوقه حتى يأتي على الجسد كله". وأخبره الطبيب أنه لا بدَّ من بتر ساقه، فأذن له وهو كارهٌ لذلك. ولما أحضر الطبيب مناشيرهُ لنشر العظم، وما يتبع ذلك، قال له: "أتريد أن نسقيك جرعة مخدر لكيلا تشعر بالألم -وهو شديد-؟ فقال أبو العالية رحمه الله: "بل هناك ما هو خير من ذلك"، ثم قال: "احضروا لي قارئاً يتقن كتاب الله، واجعلوه يقرأ عليَّ ما تيسر من آياته البينات، فإذا رأيتموني قد احمر وجهي، واتسعت حدقتاي، وثبت نظري في السماء، فافعلوا بي ما شئتم"، فنفذوا أمره، وبتروا ساقه، فلما أفاق قال له الطبيب: "كأنَّك لم تشعر بآلام الشق والبتر؟" فقال: "لقد شغلني برد حب الله وحلاوة ما سمعتهُ من كتاب الله عن حرارة المناشير". ثم أخذ رجله بيده، ونظر إليها وقال: "إذا لقيتُ ربي يوم القيامة وسألني: هل مشيتُ بك منذ أربعين سنة إلى محرم، أو مسستُ بك غير مباح لأقولن: لا ولأنا صادقٌ فيما أقول إن شاء الله".

****

كانوا يراجعون الرسول ﷺ في بعض الآيات، ليحسنوا الأداء والعمل، وليس للفلسفة والجدل:

- في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: نزل على رسول الله ﷺ قول الله جل وعلا: (لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾[26] هذه الآية يحفظها كثير منا ويقرؤها كثير منا لكنها لا تستوقف أكثرنا وذلك لأننا نقرأ القرآن لا على وجه التلقي لما فيه من المعاني، نقرأ القرآن طلباً للأجر بقراءة لفظه، دون نظر إلى ما تضمنه من المعنى، هذه الآية التي فيها إثبات الملك لله عز وجل إثبات ما في السماوات وما في الأرض له سبحانه وتعالى وأنه جل وعلا يحاسب الناس على ما دار في صدورهم وما جال في نفوسهم ولو لم يتكلموا به ولو لم يعملوا، صحابة رسول الله ﷺ لما سمعوا هذا اشتد عليهم الأمر فأتوا إلى رسول الله ﷺ كما في الصحيحين ثم بركوا على الركب أي جلسوا على الركب من شدة ما جاءهم في هذه الآية فقالوا: يا رسول الله كلفنا من العمل ما نطيق: الصلاة، الصيام، الجهاد، الصدقة –أي كل هذا نطيقه– وقد نزلت علينا آية لا نطيقها، فقال رسول الله ﷺ مؤدباً هؤلاء معلماً لهم كيف يتلقون القرآن، كيف يتلقون كلام رب العالمين، قال لهم ﷺ : " أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا؟ قولوا: سمعنا وأطعنا "[27] فما كان منهم رضي الله عنهم إلا أن انقادوا إلى توجيه النبي ﷺ وقالوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير، فلما اقترأها القوم وذلت بها ألسنتهم وتكلموا بها وقرأوها وقبلوها قبولاً تاماً، جاء التخفيف من رب العالمين، جاء الفرج من الله جل

---

26 (?) البقرة: 284.

27 (?) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة في كتاب الإيمان برقم 179.

وعلا وهو الذي قال: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ }، جاء الفرج من الله جل وعلا لهذه الأمة، ونزل في كتاب الله جل وعلا تزكيتها وبيان فضل صحابة رسول الله ﷺ فقال الله جل وعلا: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ * لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا﴾[28] فجاء التخفيف من رب العالمين بعد إثبات إيمانهم وقبولهم لما جاء عن الله وعن رسوله.....

أيها الإخوة.. الشاهد من هذه القصة ومن هذا الحديث أن الصحابة رضي الله عنهم لم يكونوا يتقبلون القرآن ويتلقونه على أنه شيء يتلى وتستنبط منه الأحكام ويعرف ما فيه من المعاني فقط، بل قرأوه رضي الله عنهم على أنهم هم المخاطبون وهم المعنيون بما فيه من المعاني، وكانوا يتلقونه للعمل مباشرة، فلما شق عليهم راجعوا رسول الله ﷺ في الذي شق عليهم من هذا القرآن.

- في الصحيحين من حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن الله جل وعلا لما أنزل قوله سبحانه وتعالى على رسوله ﷺ : ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾[29] (30) هذه الآية فيها البشارة من الله جل وعلا لمن آمن وسلم من أن يخلط إيمانه بظلم.

---

28 (?) البقرة: 285-286.

29 (?) الأنعام: 82.

30 (?) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء برقم 3110 وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان برقم 178.

فقوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ أي لم يخلطوه بظلم، ﴿أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ لهم الأمن في الدنيا والآخرة، وهم مهتدون أيضاً في الدنيا والآخرة، وهداية الآخرة أعظم من هداية الدنيا لكنها لا تكون إلا لمن اهتدى في الدنيا لأن هداية الآخرة بها النجاة من أهوال ذلك الموقف العظيم الذي تشيب فيه الولدان ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾[31] ذلك اليوم يحتاج به الإنسان إلى هداية يخرج بها من تلك الأهوال، ينجو بها من تلك المزالق، يجوز بها الصراط فإنه لو لم يهده الله جل وعلا إلى اجتياز الصراط لما اجتاز ولما تمكن من السلامة من صراط ورد في وصفه أنه أدق من الشعر وأحد من السيف.

إن صحابة رسول الله ﷺ لما نزلت عليهم الآية أتوا إلى النبي ﷺ فوراً وقد شق عليهم الأمر فقالوا: يا رسول الله أينا لم يظلم نفسه، يعني مَن منا ما وقع في الظلم؟ كلنا واقع في الظلم، فجاؤوا النبي ﷺ فشكوا له أنه لا سلامة من الظلم، بل كل إنسان ظالم كما **قال النبي**ﷺ : " كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون "[32] وكما قال الله جل وعلا قبل ذلك: ﴿وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً﴾[33] حيث حمل الأمانة وقد أعرض عن حملها السماوات والأرض والجبال وهذا الوصف لا يختص بفرد من

---

31 (?) الحج: 2.

32 (?) أخرجه الترمذي في سننه من حديث أنس بن مالك في كتاب صفة القيامة برقم 2423.

33 (?) الأحزاب: 72.

الناس ولا بجنس منهم بل هو لعموم الإنسان لعموم الناس فكلهم ظالم جهول لا يسلم الإنسان من هذين الوصفين إلا بالاهتداء بكتاب الله وبما جاءت به الرسل عن الله سبحانه وتعالى.

أيها الإخوة الكرام. لما جاء الصحابة رضي الله عنهم إلى النبي ﷺ فقال لهم: ليس الذي تظنون. أي ليس الظلم هو الذي ذهبتم إليه إنما هو قول الله جل وعلا في قول لقمان لابنه وهو يعظه: ﴿يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[34][35] فالظلم الذي في الآية هو الشرك، فهان الأمر على الصحابة رضي الله عنهم،

والشاهد أيها الإخوة أن الصحابة رضي الله عنهم لم يتلقوا القرآن تلقياً بارداً بل تلقوه للعمل وأخذوا به على أنهم هم المعنيون يقول ابن مسعود رضي الله عنه: "إذا سمعت الله جل وعلا في كتابه يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فأرعها سمعك، يعني أصغ إليها وأعطها أذنك، فهي إما خير تؤمر به أو شر تنهى عنه"، وهذا لكونهم أخذوا القرآن للتلقي والعمل، وأن كل ما فيه خطاب لكل من سمعه، خطاب لكل من بلغه وليس المخاطب فيه قوم مضوا ولم يبقَ لنا منه إلا أن نتعبد ونتقرب إلى الله جل وعلا بما فيه من الألفاظ وما فيه من الكلام الذي جرّد عن معناه ولم يقصد بما تضمنه.

34 (?) لقمان: 13.

35 (?) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء برقم 3110 وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان برقم 178.

تكرار الآيات والتأثر بها والبكاء:

- الصحابة رضي الله عنهم كان أحدهم يقوم الليل بآية واحدة وقد ورد ذلك عن النبي ﷺ كما في حديث أبي ذر فإنه قال: قام النبي ﷺ بآية يرددها حتى أصبح وهي قوله تعالى: ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[36][37] هذه الآية قام النبي ﷺ ليلة تامة بترديدها وقراءتها، وورد ذلك عن جمع من الصحابة فعن تميم الداري رضي الله عنه أنه كرر قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾[38] ردد هذه الآية حتى أصبح، وورد ذلك أيضاً عن أسماء رضي الله عنها أنها قرأت قوله تعالى: ﴿فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾[39] فوقفت رضي الله عنها عندها فجعلت تعيدها وتدعو، يقول الراوي: فطال عليّ ذلك فذهبت إلى السوق فقضيت حاجتي ثم رجعت وهي تعيدها وتدعو رضي الله عنها.

فالتكرار في آيات القرآن ليس تكراراً لطلب الأجر بقراءة الأحرف إنما هو لطلب ما فيها من المعاني وطلب ما فيها من الخير، وورد أن **ابن مسعود** رضي الله عنه ردد قوله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾[40]

---

36 (?) المائدة: 118.

37 (?) أخرجه النسائي في كتاب الافتتاح برقم 1000.

38 (?) الجاثية: 21.

39 (?) الطور: 27.

40 (?) طه: 114.

وورد عن سعيد بن جبير رحمه الله أنه ردد قول الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ﴾[41] وورد ذلك عن جمع من التابعين والصحابة رضي الله عنهم.

هذا التكرار للآيات هو من شواهد أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يتدبرون القرآن، لأن الترديد والتكرار لهذه الآيات إنما هو للنظر في معانيها، وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يطيلون البكاء عند آيات الكتاب ولا عجب فقد رأوا ذلك من رسولهم ﷺ، وقبل ذلك فإن الله جل وعلا أثنى في كتابه على الأنبياء وعلى أولي العلم الذين يخرون للأذقان سجداً والذين يخرون للأذقان يبكون مما في هذا الكتاب من المواعظ، قال الله جل وعلا في وصف جماعة من الأنبياء: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرائيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّداً وَبُكِيّاً﴾[42] ، وانظر إلى قوله: ﴿خَرُّوا﴾ الذي يدل ويشعر بالمسارعة إلى السجود، وأن السجود سجود ذل وخضوع وانكسار وتضرع ﴿خَرُّوا سُجَّداً وَبُكِيّاً﴾.

أيضاً أخبر الله جل وعلا عن قوم من أهل الكتاب فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾[43]

41 (?) البقرة: 281.

42 (?) مريم: 58.

43 (?) المائدة: 83.

فشواهد ثناء الله جل وعلا على الباكين عند تلاوة القرآن كثيرة، وهي من الفضائل التي امتدح الله بها من امتدح من النبيين ومن أولي العلم، وممن تعقلوا وتدبروا ما في هذا الكتاب من الحكم.

– كان سيد ولد آدم ﷺ من أعظم الخلق نصيباً في ذلك، ففي حديث عبد الله بن الشخير قال: " رأيت رسول الله ﷺ يصلي بنا –أي يصلي بالصحابة– وفي صدره أزيز كأزيز المرجل من البكاء"[44] والأزيز هو الحركة والحنين الناتج عن التدبر والتأثر بالقرآن الحكيم، وقد صح عن النبي ﷺ في الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود أن النبي ﷺ قال لعبد الله بن مسعود: "اقرأ عليّ". فقال عبد الله رضي الله عنه: "أقرأ عليك وعليك أنزل؟ " قال النبي ﷺ: " فإني أحب أن أسمعه من غيري" يقول: فقرأت عليه سورة النساء حتى إذا جئت قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاءِ شَهِيداً﴾[45] قال له رسول الله ﷺ: ((أمسك فإذا عيناه تذرفان بكاءاً من تأثره ﷺ بما سمع))[46]. وهذا لم يرد في هذين الموضعين فحسب، بل في مواضع عديدة من هديه ﷺ، فإنه كان كثير البكاء لهذا القرآن وما تضمنه من الحكم، وما تضمنه من العبر والآيات.

44 (?) أخرجه أحمد في من برقم 15722.

45 (?) النساء: 41.

46 (?) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن برقم 4662.

– قد سار على ذلك صحابة رسول الله ﷺ، **فأبو بكر الصديق** رضي الله عنه ابتنى بيتاً وابتنى مسجداً بفناء داره، وكان يصلي فيه ويقرأ القرآن فتتقصف عليه نساء المشركين، أي تجتمع وأبناؤهم يتعجبون منه وينظرون إليه، وكان أبو بكر رضي الله عنه رجلاً بكّاءً لا يملك دمعه حين يقرأ القرآن، وهذا ليس خاصاً بأبي بكر رضي الله عنه. بل وآخرون كذلك وهم كثر رضى الله عنهم جميعاً.

– بل إن **عمر رضي الله** عنه مع ما عرف به من الشدة والقوة كان رضي الله عنه بكّاءاً، يقول من روى من أصحاب السير: إن عمر رضي الله عنه صلى بالجماعة الصبح فقرأ سورة يوسف فبكى حتى سالت دموعه على ترقوته. وفي رواية كان في صلاة العشاء أي كان يقرأ ذلك في صلاة العشاء فهذا يدل على كثرة تكراره لهذه السورة وأنه رضي الله عنه كثير البكاء، ويقول عبد الله ابن شداد بن الهاد قال: سمعت نشيج عمر بن الخطاب وأنا في آخر الصفوف في صلاة الصبح يقرأ في سورة يوسف: ﴿ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ ﴾[47] .

أيها الإخوة..... إن الآثار عن الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم في البكاء والتأثر بتلاوة القرآن عديدة وكثيرة لكن هنا وقفة مع حال السلف في التأثر والبكاء عند قراءة القرآن، **والبكاء نوعان:**

– **نوع يأتي بلا طلب:** وبدون تكلف وهو ما يكون من تأثر طبيعي لا يطلبه الإنسان إنما هو ناتج عن تدبره وتأمله لما في هذه من الآيات من الترهيب أو الترغيب أو عظيم صنع الله جل وعلا أو عظيم

47 (?) يوسف: 86.

وصفه، وهذا لا شك أنه الذي كان عليه حال السلف رضي الله عنهم، وهو دال على سلامة القلب، ولينه، وصحته، وحياته.

- **النوع الثاني:** وهو البكاء الذي يحث فيه الإنسان نفسه على النظر في معاني الكتاب ليتأثر، ومنه قول عمر رضي الله عنه للنبي ﷺ وأبي بكر لما رآهما يبكيان قال لهما رضي الله عنه: يا رسول الله أخبرني ما يبكيك وصاحبك فإن وجدت بكاءً بكيت معكما، وإن لم أجد تباكيت، وليس المقصود أنه يتكلف البكاء إنما يطلب أسباب البكاء التي من أجلها حصل البكاء للنبي ﷺ وأبي بكر، وعليه يحمل قول النبي ﷺ : ((إن هذا القرآن نزل بحزن فإذا قرأتموه فابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا))[48] فهذا الحديث يدل على مشروعية التباكي، لكنه التباكي الذي ليس فيه تكلف وليس فيه طلب رياء ولا سمعة إنما فيه طلب التأثر بالكتاب، إذا كان القلب قد منعه مانع أو عارض، وحال دون حصول البكاء منه حائل. فينبغي لنا أن نطهر قلوبنا وأن نطيبها ليحصل بها التأثر بالقرآن دون تكلف.

أيها الإخوة. . هذا التدبر وهذا الترداد وهذا البكاء ليس آنياً محصوراً بوقت القراءة، لا يثمر أثراً ولا يحصل به ثمر لما بعد القراءة، بل إن حال الصحابة رضي الله عنهم حال تأثر ممتد، حال تأثر غير منقطع، ولذلك كانت أعمالهم رضي الله عنهم على خير حال وعلى خير مطلوب، لأنهم رضي الله عنهم قد

48 (?) أخرجه ابن ماجه من حديث سعد بن أبي وقاص في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها برقم 1327.

أثمر هذا التأثر في حياتهم، والواقع في حياة الناس اليوم أنك تجد في بعض الصلوات من يبكي عند قراءة القرآن بكاءً خاشعاً، إلا أن هذا لا يتجاوز حدود المسجد الذي حصل فيه التأثر وحصل فيه البكاء، فليس لهذا البكاء أثر في العمل ولا أثر في السلوك ولا أثر في الأخلاق ولا أثر في ترك المعصية ولا أثر في الإقبال على الطاعة،

ولا شك أن هذا قصور وأن هذا تقصير فيما ينبغي أن يكون عليه أثر القرآن. قال الله جل وعلا في بيان أثر القرآن على من اتبعه وأخذ به، قال جل وعلا: ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدىً فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى﴾[49] لا يضل في عمله ولا يشقى في مآله ولا في حاله فهو سالم من الضلال وسالم من الشقاء.

****

فائدة: ما ينبغي لقارئ القرآن وسامعه:

أن يكون للقرآن أثرٌ في سلوكه وخلقه، قال ابن مسعود رضي الله عنه: ينبغي لحامل القرآن– لكل حامل له ولو حمل شيئاً بسيطاً منه – أن يُعرف بليله إذا الناس نائمون، وبنهاره إذا الناس مفطرون، وبحزنه إذا الناس يفرحون، وببكائه إذا الناس يضحكون، وبصمته إذا الناس يخلطون، وبخشوعه إذا الناس يختالون، وينبغي أن يكون باكياً محزوناً حكيماً عليماً سكيناً –أي ساكناً– ولا يكون جافياً ولا غافلاً ولا صاخباً ولا صياحاً ولا حديداً – أي ولا شديداً في مطالبة الخلق ولا معاملتهم.

---

49 (?) طه: 123.

وقد ورد مثل هذا التوجيه وبيان أثر القرآن على حامله وعلى القارئ له في عدة أقوال من أقوال الصحابة رضي الله عنهم منها ما ورد عن **علي بن أبي طالب** رضي الله عنه أنه قال: " يا حملة القرآن أو قال: يا حملة العلم، اعملوا به، فإنما العلم مَن عَلِم وعمِل، ووافق علمُه عملَه، وسيكون أقوام يحملون العلم لا يجاوز تراقيهم" ، أي لا يجاوز رؤوسهم، بل لا يجاوز حناجرهم، بل مجرد قول على اللسان ليس له أثر على القلب، ولا شك أن هذا الحاجز وهذا المانع يمنع من التأثر بالقرآن والانتفاع به.

- وقال **محمد بن كعب**: كنا نعرف قارئ القرآن بصفرة لونه، يشير إلى سهره وطول تهجده.

– وقال **وهيب بن الورد**: قيل لرجل ألا تنام؟ قال: إن عجائب القرآن أطَرن نومي.

– وقال **أحمد بن الحواري**: إني لأقرأ القرآن وانظر في آية فيحير عقلي بها، وأعجب من حفاظ القرآن كيف يهنيهم النوم، ويسعهم أن يشتغلوا بشيء من الدنيا وهم يتلون كلام الله، أما إنهم لو فهموا ما يتلون، وعرفوا حقه وتلذذوا به واستحلوا المناجاة به، لذهب عنهم النوم فرحاً بما رُزقوا.

– **وأنشد ذو النون المصريّ:**

منع القران بوعده ووعيده ... مقل العيون بليلها لا تهجعُ
فهموا عن الملك الكريم كلامه ... فهماً تُذل له الرقاب وتخضعُ

–واستمع إلى ما جرى **لابن خزيمة** رحمه الله وهو الملقب بإمام الأئمة يقول ابن خزيمة: استأذنت أبي في الخروج إلى قتيبة – ليتلقى عنه – قال: اقرأ القرآن أولاً حتى آذن لك فاستظهرت القرآن أي حفظته

فقال: امكث حتى تصلي بالختمة – يعني حتى تصلي بنا وتختم بالقرآن – يقول: ففعلت فلما عيدنا، أي انتهى رمضان، وختمت بهم القرآن أذن لي فخرجت إلى مرو – يطلب هذا المحدث ليتلقى عنه – وسمعت بمرو من فلان وفلان، فنعي إلينا قتيبة، أي إنه لم يدركه ولم يتلقّ عنه.....

- لما قُتل **زيد بن الخطاب** في معركة اليمامة، وسقطت منه الراية، أخذها **سالم مولى أبي حذيفة**، أحد الأربعة من حملة القرآن الذين أوصى النبي ﷺ بأخذ القرآن عنهم، فقيل له: يا سالم إنا نخاف أن نُؤتَى من قِبَلك، فقال: بئس حامل القرآن أنا، إن أُتيتم من قِبلي. إنها روعة استشعار المسؤولية لحامل القرآن، الذي وعى بين جنبيه كلام الله، وتمثَّلَهُ منهجا واقعيا، يُترجم تعاليمه، وينطلق بحيويته لحراسة الدين، فيرى أن حامل القرآن لا ينبغي له أن يكون ثغرة تنفذ من خلالها المكارِهُ إلى الأمة.

فمن كان من أهل القرآن فقد ازدادت أعباؤه تجاه الدين، لأنه ليس مع غيره في الأجر والمثوبة سواء، ولذا كان لزاما عليه أن يترجم آيات القرآن إلى سلوك واعٍ، وتلك نصيحة **أبي حذيفة الذهبية**: "يا أهل القرآن، زيّنوا القرآن بالفعال".

والشاهد من هذا أن السلف رحمهم الله، ومن سلك سبيلهم ومن سار على طريقهم كانوا يجعلون القرآن في المرتبة الأولى في التعلم.

وحال الناس اليوم أنهم يشتغلون بعلوم الآلات وبالعلوم الأخرى عن القرآن، بل ويجعلون للقرآن من أولادهم، أصحاب العاهات والموقوذة والمتردية والنطيحة، إذا صح التعبير (كما كان حال الأزهر الشريف، يقبل الفاشلين في الدراسة العامة والذين يحصلون أقل الدرجات)، وهؤلاء قليلوا الإمكانيات والفهم، وليس لهم نصيب من التفسير، وليس لهم نصيب من علم القرآن وما فيه من الأحكام، بل حتى الذين يشتغلون بالقرآن تفسيراً، ليس لهم نصيبٌ من القرآن في استنباط الأحكام، وهلم جرَ ' فكلٌ يأخذ جانب ويترك فى القرآن جوانب أخري، وكأنهم يؤدون وظيفة وهم لها كارهون مضطرون !!!!

فالقرآن مشتمل على أحكام وحِكَم كثيرة تحتاج إلى استنباط، تحتاج إلى نظر، ولا يمكن أن تستنبط ولا أن تحصل ولا أن تدرك إلا بإمعان النظر والتأمل والسفر والقراءة في كلام العلماء وجمع ما تفرق من كلام أهل العلم في آيات الكتاب الحكيم، وقبل ذلك كله الإقبال على القرآن بحب وشوق وعبادة، ليحصل للإنسان الخير وليحصل له الفقه في كتاب الله عز وجل والمعرفة بالقرآن الحكيم.

****

تدبر القرآن والعمل به في شهر القرآن

قال الله تعالى: (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُواْ الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) . [1]

قال الإمام ابن كثير رحمه الله : الله تعالى يمدح شهر الصيام من بين سائر الشهور بأن اختاره من بينهن لإنزال القرآن العظيم، وكما اختصه بذلك قد ورد الحديث بأنه الشهر الذي كانت الكتب الإلهية تنزل فيه على الأنبياء (2)، فلا أقل من شُكر الله على نعمة هذا القرآن، بالاستجابة إلى صوم الشهر الذي نزل فيه القرآن.....وأخرج الإمام أحمد فى مسنده عن واثلة بن الأسقع أن رسول الله ﷺ قال «أنزلت صحف إبراهيم عليه السلام فى أول ليلة من رمضان، وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان، والإنجيل لثلاث عشرة خلت من رمضان، وأنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان (3)." وعن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة(4)

قال الإمام ابن رجب الحنبلي رحمه الله، وفي حديث ابن عباس أن المدارسة بينه وبين جبريل كانت ليلاً يدل على استحباب الإكثار من التلاوة في رمضان ليلاً، فإن الليل تنقطع فيه الشواغل، وتجتمع فيه الهمم، ويتواطأ فيه القلب واللسان على التدبر كما قال تعالى: (إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْءًا وَأَقْوَمُ قِيلاً) (5)_ شهر رمضان له خصوصية بالقرآن كما قال تعالى: (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ) (6)، وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما: إنه أنزل جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في ليلة القدر، ويشهد لذلك قوله تعالى: (إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ) (7) ، وقوله: (إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ) (8،9) وقد كان النبي ﷺ يطيل القراءة في قيام رمضان بالليل أكثر من غيره، وقد صلى معه حذيفة ليلة في رمضان قال: فقرأ بالبقرة ثم آل عمران ثم النساء لا يمر بآية تخويف إلا وقف وسأل، فما صلى الركعتين حتى جاءه بلال فآذنه بالصلاة) (10).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ قال: (من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين، ومن قام بمائة آية كتب من القانتين، ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين) (11).

****

وانظر كيف كان حال **السلف الصالح** رضوان الله تعالى عليهم مع القرآن الكريم إذا دخل رمضان:

كان **قتادة** رضي الله عنه: يدرس القرآن في شهر رمضان.

وكان **الزهري** إذا دخل رمضان قال: فإنما هو تلاوة القرآن، وإطعام الطعام.

وقال ابن عبد الحكم: كان **مالك** إذا دخل رمضان يفرّ من قراءة الحديث، ومجالسة أهل العلم، وأقبل على تلاوة القرآن من المصحف.

وقال عبد الرزاق: كان **سفيان الثوري**: إذا دخل رمضان ترك جميع العبادة وأقبل على قراءة القرآن.

وقال الإمام علي بن المديني شيخ البخاري: حفر **بشر الحافي** قبره، وختم فيه القرآن وكان ورده ثلث القرآن.

قال **كعب**: ينادي يوم القيامة مناد بأن كل حارث يعطى بحرثه، ويزاد، غير أهل القرآن والصيام يعطون أجورهم بغير حساب، ويشفعان له أيضا عند الله عز وجل، كما في المسند عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال: (الصيام والقيام يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي رب منعته الطعام والشراب بالنهار، ويقول بالقرآن: منعته النوم بالليل فشفعني فيه فيشفعان) (12)

قال **الإمام ابن رجب رحمه الله:** وقال بعض السلف: إذا احتضر المؤمن يقال للملك: شمّ رأسه. قال: أجد في رأسه القرآن، فيقال شمّ قلبه. فيقول: أجد في قلبه الصيام. فيقال: شمّ قدميه فيقول: أجد في قدميه القيام. فيقال: حفظ نفسه حفظه الله عز وجل. وكذلك القرآن إنما يشفع لمن منعه من النوم بالليل (13)

شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن، وهذا كتاب الله يتلى فيه بين أظهركم ويُسمع، وهو القرآن الذي لو أنزل على جبل لرأيته خاشعاً يتصدع، ومع هذا فلا قلب يخشع، ولا عين تدمع، ولا صيام يصان عن الحرام فينفع، ولا قيام استقام فيرجى في صاحبه أن يشفع، وتراكمت على القلوب ظلمة الذنوب فهي لا

تبصر ولا تسمع، كم تتلى علينا آيات القرآن وقلوبنا كالحجارة أو أشد قسوة، وكم يتوالى علينا شهر رمضان وحالنا فيه كحال أهل الشقوة، لا الشاب منا ينتهي عن الصبوة، ولا الشيخ ينزجر عن القبيح فيلتحق بالصفوة، أين نحن من قوم إذا سمعوا داعي الله أجابوا الدعوة وإذا تليت عليهم آيات الله جلت قلوبهم جلوة، وإذا صاموا صامت منهم الألسنة والأسماع والأبصار، أفما لنا فيهم أسوة؟ ما بيننا وبين حال الصفا أبعد مما بين المروة والصفا، كلما حسنت منا الأقوال ساءت الأعمال ولا حول ولا قوة إلا بالله.

يا نفس فاز الصالحون بالتقى	...	وأبصروا الحق وقلبي قد عمي
يا حسنهم والليل قد جنهم	...	ونورهم يفوق نورالأنجم
ترنموا بالذكر في ليلهم	...	فعيشهم قد طاب بالترنم
قلوبهم للذكر قد تفرغت	...	دموعهم كلؤلؤ منتظم
أسحارهم بهم لهم قد أشرقت	...	وخلع الغفران خير القسم
ويحك يا نفس ألا تيقظ	...	ينفع قبل أن تزل قدمي
مضى الزمان في ثوان وهوى	...	فاستدركي ما قد بقى واغتنمي (14)

فما أحوجنا لاغتنام هذا الشهر الكريم، فى القرآن الكريم، قراءة وحفظاً وفهماً وتدبراً وعملاً حتى نسعد فى الدنيا والآخرة..... *وفقنا الله تعالى وإياكم لما يحبه ويرضاه.... وتقبل منا ومنكم صالح الأعمال.*

---

(1) سورة البقرة : الآية : 185 0 .....(2) تفسير ابن كثير : جـ1صـ268 0

(3) أخرجه أحمد فى مسنده حديث:16678 وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع حديث رقم 1497 ..... (4) صحيح البخاري 3220.....

(5) سورة المزمل ..... (6) سورة البقرة: الآية : 0185 .... (7) سورة القدر: الآية : 1 0..... (8) سورة الدخان: الآية : 3 0.....

(9) لطائف المعارف : صـ243 0 ..... (10) أخرجه مسلم فى صحيحه – كتاب الصلاة – باب : استحباب تطويل القراءة فى صلاة الليل حديث: 1783 0

(11) أخرجه أبو داود فى سننه – كتاب الصلاة – باب تفريع أبواب شهر رمضان – باب في قيام شهر رمضان – حديث:1180وصححه الألبانى فى صحيح سنن أبى داود حديث : 1375 0.....

(12) أخرجه الحاكم فى المستدرك – كتاب فضائل القرآن – أخبار فى فضائل القرآن جملة حديث رقم (1979) وأخرجه أحمد فى المسند .

(13) لطائف المعارف: صـ246 وما بعدها..... (14) لطائف المعارف: صـ248 .

ما نيتُك وأنت تقرأ القرآن العظيم ؟!

قال رسول الله ﷺ: "إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى " البخاري ومسلم.

تعظيم النيات هي تجارة قلوب الصحابة رضي الله عنهم، والعارفين بالله والعلماء الربانيين، إنهم كانوا يعملون العمل الواحد ولهم فيه نيات كثيرة حتى ينالوا بها أجراً عظيماً على كل نية ؛ فاجتماعها يكثّر أجورها. وهذه بعض النيات التي يحسن أن نوفرها عند قراءة القرآن الكريم:

(1) **أن يُشفّع فينا:** .. لقول الرسول ﷺ:"اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه" مسلم

(2) **الاستزادة من الحسنات:** لقول الرسول ﷺ"من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة، بعشر أمثالها " رواه الترمذي، وقال :حديث حسن صحيح

(3) **عِمارةً للقلوب:** عن رسول الله ﷺ:الرجل الذي ليس في جوفه شئ من القرآن كالبيت الخرب" رواه الترمذي

(4) **العمل بكل آية نقرأها لننال أرفع الدرجات في الجنة:** .. لقول رسول الله ﷺ: "يقال لقارئ القرآن اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرأها" رواه أبو داود والترمذي.

(5) **شفاء لأمراض قلوبنا وعلل أجسادنا وسببا لنزول الرحمات علينا وطمأنينة لقلوبنا:** .. قال تعالى (وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة)الإسراء82..... وقول الله تعالى (ألا بذكر الله تطمئن القلوب) الرعد28

(6) **سبباً لحياة قلوبنا ونور أبصارنا وجلاء أحزاننا وذهاب همومنا:** فالقرآن ربيع المؤمن كما أن الغيث ربيع الأرض .. كما قال ﷺ في دعائه: "... أن تجعل القرآن ربيع قلبي وشفاء صدري ونور بصري وجلاء حزني وذهاب همي" صحيح

(7) **سببا للهداية:** .. قال تعالى :(ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين) البقرة (2)

(8) **لنموت عليه:** كما بلغ الله تعالى عثمان رضي الله عنه الشهادة وهو يقرؤه .. قال ابن كثير : من عاش على شيء مات عليه ومن مات على شيء بعث عليه.. مستهديا ذلك من قوله تعالى:(أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء مايحكمون) الجاثية (2)

(9) **رجاء القرب من ربنا:** بحب كلامه العظيم .. كما في معنى الحديث "إنك مع من أحببت" مسلم

(10) **لزيادة الإيمان:** .. لقوله تعالى : (وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون) التوبة (124)

(11) **لنزداد علماً بالله وتقوى له:** لنزداد له ذلا وافتقارا فنستعين به في كل لحظاتنا....(والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم).

(12) **بأن نكون من أهل الله وخاصته:** .. لقول الحبيب ﷺ : "إن لله أهلين من الناس" ، قالوا: من هم يارسول الله؟ قال: "هم أهل القرآن ، أهل الله وخاصته"..... صححه الألباني

(13) ***نتعبد الله تعالى بقراءته*** امتثالا لقوله تعالى (ورتل القرآن ترتيلا) المزمل (4)

هيا بنا نتدبر القرآن ساعة

وهناك معينات على التدبر، والذي يتبعه فهمٌ وعملٌ إن شاء اللهُ تعالي

وتلك عشرة فاحفظوها:

1- استعد نفسياً للقراءة: وقل يانفسُ افرحي واسعدي فالله اصطفاني لإقرأ كلامه.

2- ضع تفسيراً مبسطاً بجوارك: لتعود إليه في بعض المفردات.

3- ضع بجوارك قلم وورقة لكتابة الأوامر والنواهي في الآيات حتى يسهل عليك التطبيق.

4- تذكر أنك مقبل على كتاب ربك ورسائله إليك: واعلم أنه أنزل إليك، فادع الله أن يفهمك كلامه ومراده.

5- تذكر حبيبك رسول الله ﷺ: وهو يقرأ القرآن، ولصدره أزيز كأزيز المرجل.

6- تعرف على الموضوع العام، والهدف الكلي للسورة، واعلم أن لكل سورة من اسمها نصيب.

7- ضع السورة على طاولة الفهم وموضوعها إما أن يكون: عقيدة أو شريعة أو قصص توضح العقيدة والشريعة.

8- إذا مررت بآية رحمة توقف واسأل الله من فضله، وإذا مررت بآية عذاب توقف واسأل الله السلامة.

9- حاول أن تربط المعاني: وأول السورة بآخرها، وعلاقة السورة بما قبلها وما بعدها من السور.

10-بعد القراءة: قم حامداً وشاكراً لله، الذي سمح لك بقراءة كتابه، ويسر لك ذلك.

****

والآن بعد أن أنهيت القراءة، فقد حملت معك معنىً أو اثنين للتطبيق والعمل وتعليم الناس...

وهذا عهد بينك وبين الرحمن الرحيم، والذي باسمه بدأت القراءة..... فلا تنسى.

مجالسُ
للتدبرِ
وتأملاتٌ
قرآنية

سورة الفاتحة: وكأني أقرؤها لأول مرة



هل تعرف معني (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) والتي تبدأ بها قراءة القرآن؟

معناها يا أحباب: إعلان البراءة من الشيطان وهو أقوى سبب يصد عن القرآن.

معناها: يارب ابرأ إليك من كل ما يشغلني به الشيطان عن القرآن.

معناها: يارب ألوذ بك لتعلمني القرآن وتفهمني معانيه رغماً عن الشيطان.

معناها: يارب تركت كل الدنيا وما فيها من شواغل وراء ظهري

فلا تحرمني من رحمة القرآن وهداه، إرغاماً وإذلالاً للشيطان،

معناها: يارب أنا هاربٌ من الشيطان، لاجئاً إليك،

لأسمع وأفهم وأسعد بخطابك لي فعلمني من لدنك علماً، وفهمنى عنك فهماَ.

هل تشعر بهذا كله عندما تقول (أعوذُ باللهِ مِن الشيطانِ الرَجيم) .....

لو شعرت ..... إذن أنت الآن تقرأ القرآن.

فهنيئاً لك فلقد أحزنت الشيطان وفررت منه، وأرضيت الرحمن واقتربت منه.

هل تعلم معني (بسم الله الرحمن الرحيم) والتي تبدأ بها قراءتك للقرآن؟؟

وتكرر التسمية مع كل عمل، فهل هذا الأمر تفهم مقصده وغايته أم هى عادة تكتسبها؟

إن البسملة هي شعار الاستئذان علي الله، ليسمح لك بالنظر فى كلامه وقراءة كتابه المجيد.

إنها شعار العبد الذي جعل حياته كلها بسم الله، فتبدأ الحياة كلها بكلام الله وتنتهي به وإليه.

إنها تعني البراءة من كل اسم دون اسم الله، إنها تعني أنك تركت الدنيا وراءك، ودخلت في معية الله سبحانه والذي سمح لك بقراءة كلامه سبحانه وتعالى.

باسمك يارب اقرأ، وباسمك يارب أتلقى، وباسمك يارب أفهم، وباسمك يارب أعمل بالقرآن، وباسمك يارب أدعو بالقرآن، وباسمك يارب أحيا بالقرآن لأكون خليفة بالقرآن كما تريدنى بحق.

وإياك إياك أخي أن تكون من الذين استخدموا اسم الله للقراءة فقط!

وإياك أن تكون من الذين أكثروا الدندنة بالقرآن، ثم أقلوا العمل به !

اسم الله الرحمن الرحيم يراقبك أثناء القراءة وبعد القراءة، فهل تعي ذلك؟

إن كنت تعي ذلك فاعلم أنك الآن تقرأ القرآن بطعمٍ جديـد.....بتدبر وفقه.... بنية عمل وتطبيق.

(بسم الله الرحمن الرحيم) مشروع الرحمة للعالمين، إنه ليس للتبرك ولا يفيد الذكر المجرد، بل هو مشروع الدين للحياة، إنه مشروع يقرأ الفعل الإنساني في الكون بأنه صدى لرحمة الخالق، إنه يتصل بأعمق ما في النفس الإنسانية من خير... مشروع الرحمة الذى يجب أن أحمله أنا وأنت للكون كله.

والبسملة هي إعلان عن اختيار واضح بوجود إله خالق معتنٍ بالكون، مما يعني أن العناية والرحمة هي روح البسملة، وهي شاملة واصلة لجميع الخلق، ولذلك نجد مشروع الرحمة في القرآن واسع الذكر وبأشكال شتي ولجميع الخلق!.

إن مشروع الرحمة بالنسبة إلى البشرية هو مشروع عملاق، هو مشروع يتجاوز الوعي الشائع عمقاً، يتجاوز الأعراق والأجناس والجغرافيا التي نتعامل معها اليوم! والرحمة هي التسامح والعطاء في أكمل صورة.

إننا نكرر ذكر الرحمة مع كل بسملة ومع الفاتحة ومع قراءة كل سورة وفي تحيتنا للبشر والخلق، بل إننا نطرحه في سلامنا علي الرسول ﷺ فى صلاتنا أكثر من خمس مرات يومياً، بل وقد ذكر الله تعالى بأن الرسول ﷺ قد أُرسل بمد بساط الرحمة للعالمين علي سبيل الحصر والقصر (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) الأنبياء 107

افتتاح كل عمل، والسير في كل عمل، في أمس الحاجة إلى الرحمة (بسم الله الرحمن الرحيم):

فبدون الرحمة تصير حياة الإنسان عذاب وألم وجحيم، نحتاج أن ننطلق في كل عمل باسم الله الرحمن الرحيم، لننعم بالرحمة لأنفسنا وننشر الرحمة على من حولنا، فتصير الرحمة أفكارا ومشاعر وسلوكا وخطة عمل وبرنامجاً شاملاً ينير الحياة وينعش العلاقات وينشر الخيرات في كل الميادين ويمنع القسوة والعدوان والظلم والإساءة.

بالرحمة نصنع أفراد المجتمع الرحماء، وقيادات العالم الرحماء، الذين ينشرون رسالة الرحمة التي يحتاجها كل افراد العالم وكل دول العالم (الرحمة) التي قررها الله عنوانا لرسالته (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين)، فمن تعَود البدء بالرحمة صار رحيماً وأخذ بيد الجميع إلى الرحمة والتراحم في كل جوانب الحياة، سواء كان رب أسرة أو مسئول في مجال من المجالات، أو رئيس دولة.

مرة أخري... الفاتحة:

على رأس احتياجات كل إنسان أن يُحسن افتتاح كل شيء في حياته :

فإذا حسُن البدء..... حسُن المسير..... وحسُن الختام .

لذا كل احتياجاتنا المتعلقة بافتتاح أعمالنا تلبيها (سورة الفاتحة) :

**إن أحسن افتتاح لكل شيء أن يكون (بسم الله):

فمن يبدأ باسم الله يكسب التوفيق والنجاح لكل الأعمال، ومن قصد وجه الله ينال الأجر والثواب على كل سلوك ؛

ومن تكن بدايته دائما اسم الله العظيم، ينال كل خير ورشد ويحصل على كل بركة .

هذا افتتاح سورة الافتتاح، سورة الفاتحة، مقدمة القرآن، اختصار لمقاصد القرآن كله، تعريف الإسلام فى سبع آيات.

أما ختام سورة الافتتاح والذي تحتاجه البشرية كلها وهو (*اهدنا الصراط المستقيم*) :

وهو عنوان كبير للسير في الحياة بقواعد صحيحة ونظام يربي لمعرفة السلوكيات المسموحة والسلوكيات الممنوعة،

طبقا لقواعد يقررها خالق الحياة ومالك الحياة وليس طبقا لهوى أحد من البشر ولا دولة من الدول بل طبقا لـ (الصراط

المستقيم) أعظم نظام في العالم: (القانون الرباني) الذي هو أرقى وأنجح من القانون الدولي مهما بلغ جهد البشر.

(الصراط المستقيم) حل لكل مشكلات الأفراد والمجتمعات كلما حادت عنه ترجع إليه، وتعدل مسارها وفق تفاصيل

الطريق الراقي والمنهج الصحيح .

**نحن في حاجة لنيل رضا الله وتجنب المشكلات التي تجلب غضب الله، الذي يحل على من يعرف الحق ثم

يتركه عمداً.

**ونحن كذلك في حاجة إلى الهداية وحسن البحث عن الحق والحقيقة وتجنب كل المشكلات التي تؤدي إلى الضلال والبعد عن الصواب. غير المغضوب عليهم ولا الضالين (وهل غير اليهود والنصارى).

**باختصار (الفاتحة) هي الميثاق الإلهي للسير في الحياة.

**الفاتحة هي المقدمة الجامعة الشاملة، للإرشاد لكل متطلبات الحياة الناجحة ..

**(الفاتحة) هي أجمل افتتاح لكل شيء .

**افتتح كل عمل من أعمالك بسورة (الفاتحة) وركز على تحقيق أهدافها، تحقق النجاح والسعادة في الدنيا والآخرة .

** ولا تنسى (إياك نستعين)، والتي هي غير موجودة في القرآن كله إلا في الفاتحة، فاستعن ولا تعجز وابدأ حياتك باسم الله. والتزم بالعهد الذى قطعته على نفسك أنت ومع الناس جميعاً (إياك نعبد وإياك نستعين)

****

أمي علمتني الفاتحة:

(صغير يحكي كيف سمع الفاتحة من أمه لأول مرة)

أمي كنت أسمعها تقرأ فاتحة الكتاب بصوت مختلف عما أعرفه، حافية القدمين فوق سجادة خضراء، مبتهلة، متبتلة، تقرأ الآيات في لهفة وشبه استماتة، بصوت يخرج من القلب فيدخل في القلب مباشرة.

أسمعها تقول: "أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.." تنطقها أمي في قوة واستماتة "شيطان" و"رجيم" في الوقت نفسه. يسكنك وتلك خطورته. رمز الشر ودبيب الغرائز الغامضة، والذى دائماً يصدك عن القرآن وعن الصلاة وعن فعل الخير. . . . . .

بعدها تتغير نبرات صوت أمي إلى اطمئنان غامر وسكينة حقيقية وهي تقول: "بسم الله الرحمن الرحيم.."

صوت يخالطه الإرتياح وإن لم يفارقه تهدج التوسل.

"بسم الله.." كنت صغيراً جداً وبرغم ذلك كنت أعرف خالقي. معرفة تُلقى في قلوبنا دفعة واحدة، ثم ننساها بالتدريج .. . كنت خلية لا تُرى تنساب في رحم أمي. تسبح بالهداية الإلهية نحو مكمن الأمومة في جوفها. تتكاثر وتنقسم إلى عظام وعروق وأعضاء ... من أضاء بصيرتي وألهمني أن أنصت إلى دقات قلب أمي وأعرف أسرارها؟

بسم الله".. الذي أخرجني من رحم أمي باكياً. لم أستعد الأمان المفقود إلا حينما ضمتني أمي وسمعت من جديد دقات قلبها .. .من آنس وحشتي وآمن روعتي؟ إنه الله...إن كل شيء باسم الله

ثم يكتسب صوت أمي رقة وهي تقول: "الحمد لله رب العالمين ." ما الذي كانت تشاهده وهي ترمق موضع سجودها في السجادة الخضراء؟

هل شاهدت يد الرحمة الإلهية تسوق السحب وتأمرها أن تصطدم بقمم الجبال الإثيوبية. تترقرق قطرات الماء على الصخور قبل أن تنحدر في مجرى النيل الطويل في طريقها أن تملأ الكوب الذي تشربه!؟

هل شاهدت أمي البذرة الصغيرة تحت الأرض الرطبة الطينية تتشقق بمعجزة البعث ورجفة الحياة، والبرعم يكافح حتى يصل إلى ضوء الشمس المُطمئن حتى ينضج ويصبح- في ليلة صيف باسمة- حبة قمح تتحول إلى الرغيف الذي تأكله؟

هل أصغت أمي لموسيقى النجوم وهي في صلاتها؟ هل شاهدت الأقمار تُولَد والكواكب تُسبّح والشُهُب تشتعل عشقاً ؟ .....من أبدع كل هذا ؟ إنه الله.....إذن فالحمد كل الحمد لله وحده.

وإذا كان حمدك يا ربي نعمة تستحق الحمد، فكيف السبيل لكي نثني عليك؟

هذه المرة كان صوت أمي ينطق بالبهجة وهي تردد: "الرحمن الرحيم.." للمرة الثانية يتكرر وصفه بالرحمة .

أعبدك يا ربي بحب مخلوقاتك وأراك في كل مكان .

أراك في العصارة الخضراء تسري في عروق الشجر .

أراك في التمثيل الضوئي وذرات الأوكسجين تمنح الحياة لمخلوقات أخرى .

أراك في غابات اللون الأخضر وبحيرات الورد، والأشجار العريقة المتطاولة تسبّح بحمدك وتشكر لك، والعصافير تشهد على نعمتك. وقتها أعرف أنك بحق: "الرحمن الرحيم.." لكل شيء، لكل المخلوقات !!

وما هي إلا لحظة حتى يتلوا صوت أمي بقلق واضح: "مالك يوم الدين.."

يوم الدين الذي نسيناه ونحن في أشد الحاجة لكي نتذكره. ليس فقط لأنه قادم شئنا أم أبينا، بل لأنه ضرورة أخلاقية . لا يمكن أن يهرب المجرمون بجرائمهم وينتهي الأمر إلى ذرة كربون بلهاء.. لذلك تُوجد حتما آخرة، وإلا لكانت الدنيا عبثاً كلها. البعض يتمنونه سريعاً لينال الظالمون جزاءهم، ولكن هل من ضمان ألا نكون منهم؟

كانت أمي خائفة والحق معها. تصور أن ينقطع عملك وتسلم ورقة إجابتك دون أي فرصة لتصحيح الأخطاء..! ولكن أبشري يا أماه فالله وحده "مالك يوم الدين".. وتلك فرصتنا الوحيدة للنجاة. لا يرحم ضعفنا إلا من خلقنا، لماذا كرر "الرحمن الرحيم" في هذه السورة القصيرة مرتين سوى أنه يريد أن يطمئننا أن رحمته غالبة؟

بل لماذا خلق الفاكهة، سوى أنه يريد أن يدللنا؟ هل تتصورين إلهاً يخلق الفاكهة لمخلوقاته.. ثم لا يكون رحيما بهم؟

"إياك نعبد.. وإياك نستعين.."

إن هذه الآية تجعل الإنسان طالباً لأمرين: طريق العبادة الصحيحة وطريق العون من الله.

والمعنى الصحيح للعبادة يقتضي منا أن نعيد إنتاج صورة العمل الصالح في مناهج حياتنا جميعاً

فحينما تشاهد الإلكترونات تسبح في المدارات فأنت تعبده ..

حينما تحب ظاهرة التوتر السطحي وتقع في غرام الفوتونات فأنت تعبده..

حينما يفرح قلبك بمشهد عصفور صغير يجرب المشي على الأرض فأنت تعبده..

حينما تشاهد أسراب العصافير في مساراتها المحددة ثم تعلو أناشيدها في صلاة جماعية قبل الغروب فأنت تعبده..

حينما تمسح على رأس يتيم.. أو تخفف جزءًا من بؤس الحياة.. أو تدرك عثرة إنسان بائس فيلهج لسانه بحمد الله.. فأنت تعبده..... لكن تذكر أن الله الخالق المصور المبدع من وراء ذلك كله .

"وإياك نستعين.." هو الفاعل الحقيقي خلف كل شيئ. وما البشر إلا (سعاة بريد) يحملون خطابات الرحمة الإلهية إلى من نزلت بهم رحمته..

" اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين."

بعد التسبيحة الطويلة يأتي طلب الهداية، حتى لو ألتوت أقدامنا وامتلأت نفوسنا بغبار الطريق.. يبقى طريق الله مستقيماً، لا يستحقه سوى من أنعم الله عليه بالمعرفة، وهداه وأعانه عليه.

هل وقفت عند الصراط المستقيم تتعرف على معناه، وهل ربطته ب { استقم كما أمرت} وكذلك { وأن لو استقاموا علي الطريقة لأسقيناهم ماءاً غدقا } وكذلك لموسي وهارون { فاستقيما..... }

وتنتهي الفاتحة. وتنتهي الصلاة ..تنظر أمي إلى كتفها الأيمن وتقول في تهدج: "السلام عليكم ورحمة الله.."

وأخيراً: بدأت أمي الصلاة باسم الرحمن الرحيم، وانتهت بالسلام من الرحمن الرحيم.... هكذا هى الفاتحة...

إذن الفاتحة:

هى السبع المثانى– أم الكتاب–سورة الحمد– الشافية– الكافية– ولها أكثر من 20 اسم فى إتقان السيوطى.

- فيها حمد الله، والثناء على الله، وتمجيد الله.
- فيها مشروع الرحمة للعالمين.
- فيها مشروع النجاح فى الحياة كلها: إيمانياً، واجتماعياً، وعالمياً.
- فيها الدعوة إلى العمل الجماعي والانتساب إلى أمة الصالحين.
- فيها العقيدة : بسم الله– رب العالمين– ملك يوم الدين– أسماء الله الحسنى.
- فيها العبادة: إياك نعبد وإياك نستعين.
- فيها القصص والبراءة من المغضوب عليهم(اليهود ومن فعل فعلهم) والضالين (النصاري ومن فعل فعلهم).
- فيها أخيراً الدعاء والمنهج: اهدنا الصراط المستقيم.

هي ببساطة ملخص القرآن الكريم، وشرح لأصول الدين كاملاً.

****

سورة العاديات: وكأنى أقرؤها لأول مرة



من أصعب السور الكريمة ألفاظاً..

ومن أجملها جرساً في الأذن ..

وأعظمها مفاجأة في الترابط بين أجزائها !!..

عندما تسمعها .. حتى ولو لم تفهم تفسير أى كلمة ..

ستشعر أنك تجري مع الكلمات.. وتتحرك دقات قلبك بسرعة أيضاً؟ !!

ستشعر أن صوت المد بالألف في آخر النصف الأول من الآيات.. ياخدك لأبعد المسافات !!...

ضبحا ....

قدحا ....

صبحا ....

نقعا ....

جمعا ....

يفتح أمامك طريق ... تنطلق فيه بكل قوة ..

ولكن عندما تفهم الألفاظ .. تزداد حيرة وتعجب من هذه السورة تحديداً.

سورة سهلة الحفظ ..

صعبة الألفاظ علينا حالياً ..

عجيبة الروابط..بين أجزائها!

- تعالوا نرى الإعجاز وبعض أسرار السورة ..

العاديات هي الخيول ..

التى تجري في الصحراء..

بأمر من فارسها ..

تجري بمنتهى الإخلاص والتفاني ..

وأمامها مصاعب عديدة ..

- حر شديد جداً بسبب الوجود في الصحراء، وليست في جولة تنزه في أحد القصور الملكية
- ليست في نزهة، وفي سهول خض!!راء ..
- جري شديد جداً لدرجة اشتعال الحصى من تحت أقدامها، بسبب شدة الاحتكاك بالصخور أثناء الجري ..
- وواضح أنها منهكة بسبب الجري.. حتى إنها تصدر صوت نفس عاااالي إسمه (الضبح) ..

الخيول صحت فى الصباح الباكر، ولا تدرى أين هى ذاهبة .. ولا أى مصيرٍ ستقابل ..

لكن هي تعرف تماماً أنها لابد من أن تسمع وتطيع لكلام فارسها.. وفقط !!

الخيول ذاهبة لتقابل عدو.. ويمكن أن يكون سبب في جرحها .. أو موتها ..أو بتر جزء منها !!..

وبرغم كل ذلك، وأنها في تعب رهيب وموقف لا تُحسد عليه ..

لا تتقهقر !!..

ولا تتراجع !!..

ولا ترمي صاحبها أرضاً وتهرب منه !!..

ولا تقف في نصف المعركة، وتترفع يدها بالفيتو لأنها لم تأكل ولم تشرب !!..

ولم يتكلموا مع بعض بلغتهم، ويتفقوا على التمرد والعصيان بسبب سوء الأوضاع، ثم يعلنوا الثورة على الفرسان !!..

وفي الآاااااااااخر .. وبعد نهاية المشوار

تنكفئ وتميل برأسها في حضن فارسها ..

راضية منه بطبطبة حنونة ..

وجردل مياه ..

وقليل من الأعشاب تأكلها ..

وعلاج لجروحها بأبسط الوسائل.. إن وجدت ..

ونومة غير مريحة في أي مكان ..

والعجيب جداً .... والغريب جداً جداً ..

أن الخيول مستعدة لتكرر ذلك كل يوم ..

فقط... طاعة لفارسها!..

أرأيتم وفاء وإخلاص أكتر من ذلك؟ !! هكذا علاقة الخيل، بفارسها وسيدها وولى نعمتها!

ما هى علاقة الخيول.. والكلام عنها وعن حالها.... بباقي السورة.. ؟!

ربنا سبحانه نقل الكلام الآن لحال الإنسان !!

ويقارن بين حال الخيول مع صاحبها وإخلاصها له ..

وبين حال الإنسان مع ربه.. وولي نعمته .... وجحود الإنسان المستمر ..

نهاية كل الآيات، في باقي السورة، ليست مفتوحةُ الصوت فيها، ولا الإحساس مثل حال الكلام عن الخيول ..

والآيات كلها مقفلة بحرف الدال والراء ..

كنود ..

شهيد ..

شديد ..

القبور ..

الصدور ..

خبير ..

كلها تتكلم عن الإنسان !!..

قفلات الآيات معبرة عن حالة التضاد بين الحالين ..

حالات الانطلاق والبراح في حق الخيول لطاعة الفارس ..

وحالات الانغلاق عن الخير والجحود في حق الإنسان لطاعة الله !

للأسف الشديد ..

الإنسان لم يحُصِل ولم يصل إلى ربع طاعة الخيول لفارسها !

الإنسان.. جحود وهو يعرف أنه جحود ..

ويعرف أنه حريص على خير الدنيا .. أكتر من خير الآخرة !!..

مع علمه أن الآخرة خيرٌ وأبقى ..

كذلك هو ليس مثل الخيول ..

لا يعرف على الحقيقة أين يذهب !

ولا لماذا أتى إلى هذا الكون !

ولا إلى أين المصير

إلا من رحم ربى

وبرغم علمه..

للأسف !!.. كنود لربه .. جحود بنعمته .. ناكر لخيره ..

حريص على الدنيا برغم علمه بزوالها وحقارتها !!

ومتى يستيقظ من غفلته:

🌵 عندما يطلع بجسده من القبر ..

🌵 عندما يُنشر كل ما أُخفى في الصدر .. من حرصٍ على الدنيا .. وزهدٍ في الرب وما عند الرب ..

فى الحقيقة، أن الإنسان لم يصل لوفاء وإخلاص الخيول ..

****

اللهم ياخبير بما نعمل ظاهراً وباطناً... ارزقنا حبك ..

وحب العمل الذي يقربنا لحبك ..

واجعل مرادنا كمرادك منا وفينا ..

واصرف عنا الجحود ..

وإغلاق السدود ..

فيما بيننا وبينك يا ودود ..

اللهم طاعة لك كطاعة الخيول لفارسها ..

مهما علت الأنفاس بالضبح ..

وزاد عناء المسير حتى يخرج من تحت أرجلنا القدح ...

ومهما تطلب منّا هذا النهوض مبكرا مع أول خيط للصبح ..

ومهما ثار من تحت أرجلنا غبار النقع ..

ومهما عانينا من ويلات خوض معارك الحياة..

بسبب ما يحدث بيننا وبين الصعاب والمحن والبلاء.. ..

اللهم آمين آمين

سورة العصر : وكأني أقرؤها لأول مرة



سورة العصر : هي حكاية الإنسان مع الفوز والخسران

هي حكاية الوقت وقيمته

هي سورة الإنسان الناجي

بعض السلف يقول لم أفهم هذه السورة، إلا حينما رأيت بائع ثلج، يسير ويقول أيُها الناس ارحموا من يذوب رأس ماله، أسرعوا الشراء، فإن الثلج إذا ذاب ضاع رأس مالي، فلما سمعتها تذكرت العصر وعلمت أن الزمان ينتهي والوقت يمر، فتحسرت على نفسي...

سورة العصر قال عنها الإمام الشافعي رحمه الله: لو تدبر فيها المسلمون لكفتهم...

إذن سورة العصر تبين خطورة الوقت: ويقسم المَلِك سُبحانه حين يقول ﴿وَالعَصرِ، إِنَّ الإِنسانَ لَفي خُسرٍ﴾، فالعصر هو آخر وقت اليوم، وقيل العصر كل الأزمنة وكل الدهور، من يوم خلق الله الزمان إلى أن تقوم الساعة، وقيل العصر من أنك تَعْصُر الشيء مثلما تَعْصُر الثياب، فكأن الزمان لا بد أن تعصُره أو يعصُرك، إما أن تعصره فتستخرج كل طاعة في كل لحظة فتفوز، أو يقطعك الزمان ويعصُرك فيمر بك وأنت لا تشعر، فتكون فى خُسران..

اليوم ينتهي والشمس تغرب والزمان ينتهي، ولم يبق إلا لحظات وينتهي الاختبار وينتهي الابتلاء، قاربت النهاية.. ثم يخبرنا الله جل جلاله بنتيجة حتمية قطعية لهذا الإختبار وهو خسارة أغلب بني الإنسان! فما سبب تلك الخسارة؟ وكيف ينجو الإنسان؟.... وكيف يستخدم الوقت للنجاة من الخسران ؟

إنَّ الصحابة كانوا يتواصوا بقراءة سورة العصر، بعد الإنتهاء من مجالسهم، كأنهم يذكر بعضهم بعضًا بقيمة الوقت والزمان، يسأل بعضهم بعضًا، ماذا ستفعل بعدما تمضي من المجلس؟ هل ستعصر وقتك عصرًا تستخرج ما فيه من أعمال صالحة؟ لذلك لن ينجوا إلا الذين آمنوا وعملوا كل الأعمال الصالحة التي يستطيعونها، أولئك المستثنون من الخسارة، والمستثنى دائماً قليل! ﴿إِلَّا الَّذينَ آمَنوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ وَتَواصَوا بِالحَقِّ وَتَواصَوا بِالصَّبرِ﴾

وسورة العصر تقع بين سورتي التكاثر والهُمزة، ليتذكر الإنسان أهم أسباب الخسارة وهي: الإنشغال بالناس ومكاثرتهم بالمال والولد، في سورة التكاثر ﴿أَلهاكُمُ التَّكاثُرُ﴾ .... والانشغال بالناس للإستهزاء بهم وكذلك جمع الدنيا للاستعلاء عليهم، في سورة الهمزة ﴿وَيلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ، الَّذي جَمَعَ مالًا وَعَدَّدَهُ﴾، فانشغل الأول مكاثرًا، وانشغل الثاني مستهزئا. والسبب كان جمع الدنيا وزينتها.....

وبين سورتي التكاثر والهُمزة ، في سورة العصر صنف آخر مشغول بالناس، لكن في نصحهم، في الدعوة إلى الله بينهم، وهذا هو الذي ينجو.. أن تنشغل بالناس، أن تنصح لهم ﴿وَتَواصَوا بِالحَقِّ وَتَواصَوا بِالصَّبرِ﴾ أنت لا تستطيع إلا أن تحيا بين الناس، إن لم تبدأ معهم بالنصيحة واستغلال الأوقات، بدأوا معك بالخسارة وتضييع الأوقات.....

فإن أردت النجاة من الخسارة فإليك السبيل، باستغلال كل لحظة في الحياة والتواجد مع (الذينَ آمَنوا): البيئة الصالحة، أهل المساجد، الصحبة الصالحة، الإنسان لا ينجو وحده.....انشغل بانقاذ الناس ..لا بُد أن توقظ الناس، فإنَّ القلب السليم هو أنصح الناس للخَلْق، وأخيرًا فلتصبر، لا بُد أن تصبر..

نصيحة الناس تحتاج إلي صبر، بل قد يتبعها أذي فلابد من الصبر.

النجاة من الخسارة هي استخدام هذا الوقت لقضية الإيمان والعمل الصالح والتواصى بالحق والصبر !

النجاة من الخسارة ليست سهلة، إلا من سهلها الله عليه، تحتاج إلى عمل وجهد وصبر على ذلك ﴿ وَتَواصَوا بِالحَقِّ وَتَواصَوا بِالصَّبرِ ﴾ اليوم تُوصي الناس، وغدًا غيرك من الناس يوصيك،

لا أحد أكبر من أن يُوصَى ولا أحد أقل من أن يُوصِي،

الإنسان مُتقلب يحتاج حين يسقط أن يكون في جمع الإيمان يُنَصح ويَنصَح.

وعليكم الآن بالدعاء:

يا ربَّنا اجعلنا من الفائزين، ولا تجعلنا من الخاسرين،

ياربنا بارك لنا في أعمارنا وأوقاتنا،

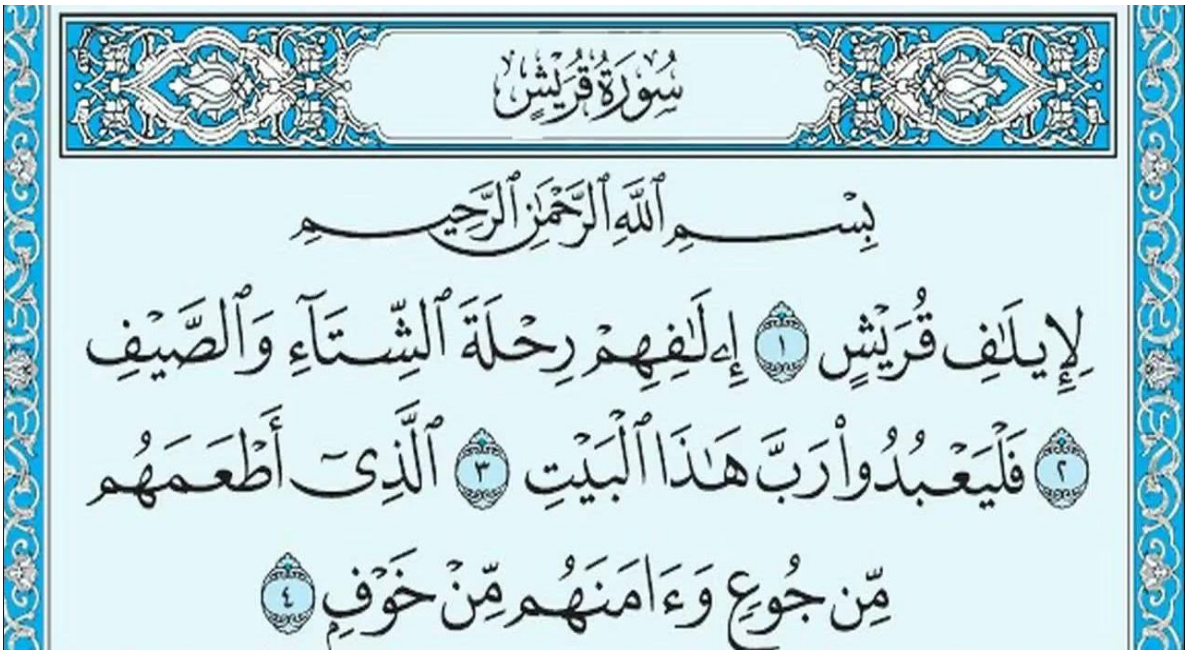
ياربنا واصنع منّا وبنا ما يُرضِيك عنا،

واجعلنا من الذين يحولون عصرهم إلى طاعة،

ويجعلون ساعات حياتهم، عنوانها التواصى بالحق والتواصى بالصبر.

****

سورة قريش... وكأني أقرؤها لأول مرة



(فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف)

علمت بتفسيرها فخفت من الله أكثر .. أول مرة أسمع عتابًا من إيلاف النعم والتعود عليها..... ومع أن الله سبحانه يستحق العبادة، منطقاً وفكراً، قولاً وعملاً، ظاهراً وباطناً، مع ذلك أراد أن يعطى الناس فرصة للتفكر في بعض نعمه الظاهرة، لعلهم يعودوا...وهكذا تكون إقامة الحجة، لأنه ربهم جميعاً سبحانه، وتلك غاية الدعوة إليه سبحانه ... أن نتعرف عليه بنعمه، فنرجع إليه بالعبادة التى هو أهل لها. والحمدلله الذي بنعمته تتم الصالحات في الأمور كلها.

تعالي معي واقرأ سبب نزول هذه السورة.. وهي تناقش مشكلة حياتية وهي (إِلْفُ النعمة ونسيان المنعم)

يقص الله لنا قصة إيلاف قريش واعتيادهم على استقامة مصالحهم ورحلتيهم بالشتاء والصيف دون النظر لواهب هذه النعم ومديمها.

👈كان أهل قريش معتادين على الفقر والجوع والحياة البدائية البسيطة.. لدرجة أنهم عندما يصل أحدهم لشدة الفقر كان يأخذ أهل بيته لمكان يسمى بالخباء يمكثوا فيه حتى يموتوا من الجوع كلهم.. والعادة هذه في الجاهلية كان اسمها

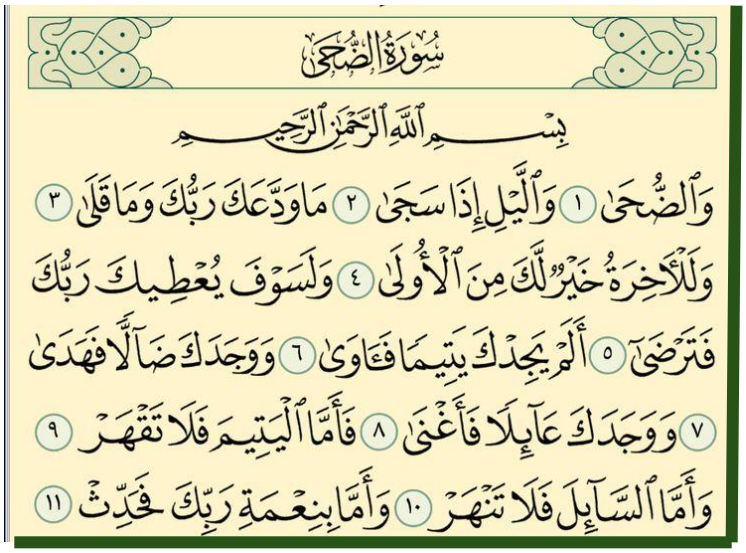
الاعتفار👈.. وكانت هناك عائلة كبيرة اسمها بني مخزوم كانوا كلهم سيموتون من الجوع الشديد، وعندما وصل خبرهم لهاشم بن عبد مناف أحد كبار التجار، استاء من وجود هذا الجهل والفقر في أهل البيت الحرام، فجاء وقال لهم أنتم أحدثتم عادة تُذَلون بها بين العرب وأنتم أهل بيت الله والناس لكم تبع.! . فقسم القبيلة لعشائر، وأمر كل غني منهم بتقسيم ماله مع الفقراء من عشيرته حتى أصبح الفقير مثل الغني..وعلمهم أصول التجارة ونظم لهم رحلتين في العام، رحلة للشام ورحلة لليمن.. في الشام علمهم تجارة الفواكه في الصيف..وفي اليمن علمهم تجارة المحصولات الزراعية في الشتاء، حتى جاء خير الشام وخير اليمن لمكة وأصبح سكان مكة في حال أفضل وانتهت ظاهرة الاعتفار.. وقد امتن الله على العرب . فى مكة وحولها . بهذا الوضع الذى انتفعوا منه كثيرا.

وكان الإيلاف نعمة عظمى وهو رحلة الشتاء والصيف، فلما ألفت قريش النعم التي أنزلها الله عليهم .. كفروا بها بعدم الشكر لله، المنعم عليها.. وكفران النعم هو إلفها فلا تراها نعمة...فأنزل الله فيهم الأمر الإلهي بأن يعبدوا المنعم رب هذا البيت. (فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف) ونِعمُ الله على الناس عموماً لا تحصى، فإن لم يعبدوه لسائر نعمه، فليعبدوه لهذه النعمة الواحدة التي هي نعمة ظاهرة ودائمة، وهي إطعامهم بعد الجوع ، وتأمينهم بعد اعتيادهم العيش في رعب وخوف من الموت ... (أطعمهم من جوع * وآمنهم من خوف)، وسبحانه سبحانه الودود إلي عباده، الرحمن الرحيم بهم ، طلب منهم أن يعبدوه بعد أن أعطاهم وأنعم عليهم.

👈لا تألف فتجحد ، لكن اشكر الله علي دوام نِعمته... افرح بنعمة الله عليك واشكرها، حتى لو تكررت ألف مرة، لأن مجرد دوام النعمة نعمة، وإلف النعمة وعدم شكرها جحود وظلم..

👈ولتكن كلمة " الحمدلله " على لسانك في كل وقت ، قلها بقلبك عن رضا واقتناع لما فيها من أجر عظيم الحمدلله دائمًا وأبدًا .. الحمدلله كما ينبغي لجلال وجهك ولعظيم سلطانك يارب.

سورة الضحى... وكأني أقرؤها لأول مرة



يقول الشيخ محمد الغزالى في (التفسير الموضوعى): وُصِف القرآن فى آيات كثيرة منه بأنه نور" فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا"، "ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا"..... ولا شك أن الوحي الأعلى كان نوراً وشروقاً دائماً على قلب محمدٍ ﷺ وظل معه إلى آخر العمر!

ربما تريث الوحي مرة أو مرتين لأسباب طبيعية. وقد حدث ذلك في أوائل نزوله على الحبيب المصطفى ﷺ.

فهل يعنى ذلك أن رب محمد كرهه وقلاه؟ ..... كذلك زعم خصوم الرسالة وكفار قريش !

قال العلماء وفى هذا إشارة إلى وقت نزول الوحي ووقت توقفه، ولابد من استجمام وراحة، لأن نزول الوحى تصحبه معاناة. ولا مكان هنا لترك أو كراهية.

والله يقسم على ذلك !

****

سبحان الله ! العظيم الكريم الرءوف الرحيم، يُقسِم في سورة الضحى على ذلك

(ما ودعك ربك وما قلى)...انقطاع الخير عنك لبعض الوقت....هو تهيئة لفيضان خير جديد،

وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى : في أول الرسالة كان النبي ﷺ يربى أناساً يعدون على الأصابع، ثم أخذت دائرة الدعوة تتداح، فإذا هو يقوم على تكوين أمة كبيرة. كانت هذه الأمة هي الدعائم المختفية في التراب، للبناء الإسلامي الشامخ الباقي إلى قيام الساعة. وقد بلغ عدد هذه الأمة في حجة الوداع أكثر من 130 ألف مسلم بعد أن كانوا بضعة أفراد في بيت الأرقم ابن أبى الأرقم.

لقد استقبل ﷺ خلال ذلك وحياً كثيرا وتحمل جهوداً مضنية، حتى غير التاريخ العام وأنشأ حضارة أخرى. والكتاب الذي صنع ذلك مازال بين أيدينا شاهدُ صدقٍ على عظمة الإسلام ورسوله ﷺ.

وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى : وسبحان الله فإن أول ما يخطر على أذهاننا في تفسير الآية أن الدار الأخرة خير من الدار الدنيا!!

ولكن الآية تحمل معنى أوسع من ذلك ..... ألا وهو: أن عاقبة كل أمر، خير لك من أوله، لأنه قدر الله الذي يحبك !..

(ألم يجدك يتيماً) هذا أول الأمر ..... (فآوى) هذا آخره ،،

(ووجدك ضالاً) هذا أوله..... (فهدى) هذا آخره ،،

(ووجدك عائلاً) هذا أوله..... (فأغنى) هذا آخره ،،

****

{ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى (6) وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى (7) وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى (8) }، فالله تعالى يذكره أنه لم يتخل عنه، حتى قبل البعثة وقبل حمل الرسالة!!!، أفيليق به سبحانه أن يتركه بعد أن أصبح نبيه المختار ورسوله المصطفى ليحمل رسالة ربه إلى الناس!!!

وهكذا ذكَّرَه اللهُ بأنه كان قبل الرسالة وفى مراحله الأولى من حياته، كان الله معه يرعاه ويهديه ويغنيه .

كان **يتيما** فآواه، وحفظه ورعاه وبدون أبٌ له أو أم.

وكان **ضالاً** يتحنث في غار حراء ويتعبد، باحثاً عن الحقيقة راجياً هداية الطريق، فكان ﷺ يذهب إلى الغار يتفكَّر في خالق هذا الكون؛ لكنه لم يكن يعرف على وجه الحقيقة كيف يعبده، ولا على أي شريعة، فهداه الله.

وكان **فقيراً** في بيت عمه ثم في بيت جده، ثم يرعى الغنم عند قريش، وأخيراً موظف بمرتب عند خديجة قبل زواجه، فيمُن اللهُ عليه ويتزوج خديجة، فتصبح خديجةُ ومالُها مِلكاً له ﷺ فأغناه الله.

بل وأن نِعم الله عليك كثيرة يامحمد (أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (1) وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ (2) ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ (3) وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ (4) فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا (5) إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا (6) فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ (7) وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب (8) (سورة الانشراح)، والتي أتت بعد الضحي لتنير المعني ضياءاً وتزيده إشراقاً.

وهو هو ﷺ ذلك الرجل الذي أكرم اليتيم ولم يرد سائلاً، طوال حياته قبل وبعد الوحي، وكان في كل وقت يتحدث بنعمة الله عليه، اعترافاً وتصديقاً لصاحب الفضل عليه سبحانه وتعالي الذي أرشده وقال:

فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ (9) وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ (10) وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (11).

لذلك ذكر نفسك دائما أنك تتعامل مع رب كريم، من أوصافه سبحانه وتعالى أنه يختبر العبد أولاً بالضيق، ثم لابد من فرح وينتهي الأمر دائماً بالسعة.... لابد أن تكون الآخرة خيرُ لك من الأولى في كل أقدار الله، وتكون الآخرة هي اللأجمل وذلك من فضل الله .....

فكن في دنياك هكذا، أيها الحبيب المتبع لسنة الحبيب ﷺ، والمحب للقرآن الكريم، وللرب الكريم.

****

وسبحان الله ولأول مرة أفهم سورة الضحى بهذا المعنى ومن هذا الطريق، عندما أرشدني الله للحياة مع النبي ﷺ بكتابة كتابى { مرحلة تكوين الصادق الأمين } لأعيش مع الحبيب ﷺ في فترة ما قبل الوحي، مرحلة الصادق الأمين، فوجدت أن فضل الله كان عليه ﷺ عظيماً، إعداداً له ﷺ وتربية وتكويناً، وذلك حتى قبل نزول الوحي عليه.

وهكذا كانت فترة التكوين في حياة محمد ﷺ الصادق الأمين حتى قبل نزول الرسالة عليه، كانت على عين الله تعالى، تربية خالصة، ليس لأحد فيها شيء سوى الله تعالى، فكان محمد ﷺ أهلاً لاستقبال الرسالة والوحي بعد ذلك،

وسبحان الله! سورة الضحي أتت بعد سورة الليل في المصحف !

وسورة الليل بدأت بالقسم، وفى منتصفها (وإنَّ لنا للآخرةَ والأولي)، وفى آخرها (ولسوف يرضي)

فالأمر كله لله ومن الله وإلى الله، وهو ....الكريم.... الرحمن..... الرحيم

فارضي بقدر الله فيك، يعطك بفضلٍ منه ما يرضيك، وفى حياة الحبيب وسيرته ما يغنيك ولا يشقيك.

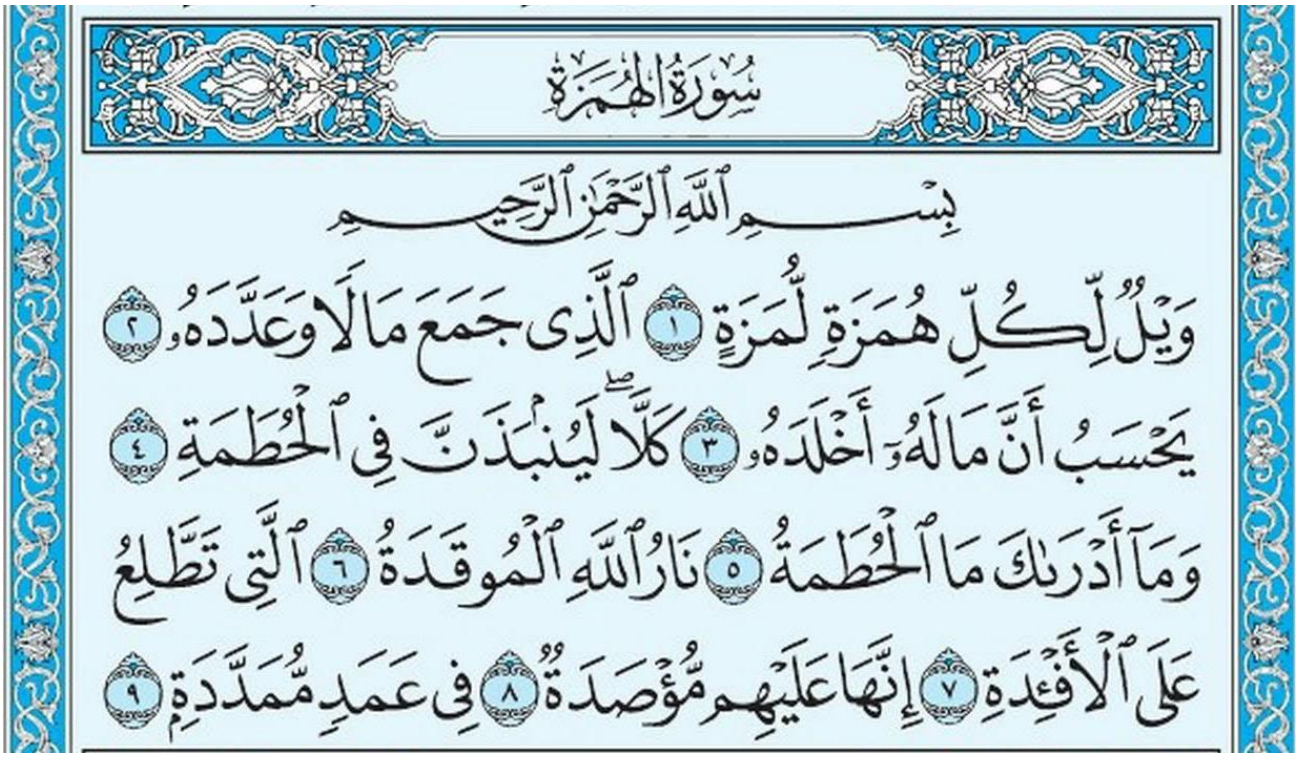
واجتهد أيها المتبع للحبيب ﷺ فيما خُلقت له، فلا تقهر اليتيم، ولا تنهر السائل، وتحدث بنعم الله عليك

فمن لزم الحمد والاعتراف بالنعمة : تتابعت عليه الخيرات.

ولن تجد أحنّ من الله عليك، فى أول الأمر وآخره.

****

سورة الهُمَزة: وكأنى أقرؤها لأول مرة



فتنة المال (***إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى***)

*والهمز واللمز تناول الغير بالإشارة أو العبارة، تارة بالكلام، وتارة بحركة العين والشفتين، وبالرسم الهزلى، فى بعض الصُحف، واختلاق حركات ذات سخف. وهذا الذى جمع مالاً ولم يؤدِ حق الله فيه، بل أوصد بابه فى وجه المحتاجين إليه، واحتقر الناس وسار فيهم بالغيبة والنميمة، والهمز واللمز، استكباراً بغناه وماله. وهو يظن أن ماله يخلّده فى الدنيا، فلا موت ولا حساب ولا جنة ولا نار... والكبر والغرور دائماً أقصر طريق للهلاك!

*من الحروب التى يشنها المجرمون على أصحاب الإيمان دائماً حرب السخرية والاستهزاء " *إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون وإذا مروا بهم يتغامزون* " وعند نزول الوحى، كان القاعدون الواجدون من أثرياء مكة وغيرهم، يعقدون المجالس اللاهية ويتناولون المسلمين بالغمز واللمز، فنزلت هذه *السورة* "*ويل لكل همزة لمزة الذي جمع مالا وعدده يحسب أن ماله أخلده*" هؤلاء الساخرون أهل بطالة يعيشون في ظلال أموالهم أو مما تصرفه لهم جهات مريبة، وقد نُظمت هذه الحرب في العصور الأخيرة ضد أهل الإيمان، وتخصصت لها صحف وفنانون وإعلاميون. الويل لهؤلاء فى الدنيا والآخرة، يقول الله فيهم "*كلا لينبذن في الحطمة وما أدراك ما الحطمة نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة* ". !

قال ابن عباس: ويل لكل همزة لمزة: هم المشاءون بالنميمة، المفرقون بين الأحبة، الباغون أكبر العيب.... فكان جزاؤه من جنس عمله الفاسد ! أن أوصد الله عليه النار ! فى عمد وأنابيب ممدة !!!!! كما أوصد وأغلق بابه فى وجه المحتاجين إليه. فتحرق النار فؤاده الذى امتلأ كبراً وغروراً ونسياناً للآخرة.

يا مسكين ، لقد أعطاك الله لتعطى خلقه المحتاجين إليك. (أنفقوا مما رزقناكم)، وليس لتتكبر أو تهمز وتلمز..... ادخر كما شئت لكن لا تطرد فقيراً أو مسكيناً يحتاج للعون منك، وأنت للأسف تعيش فى دائرة الغرور والكبر والإفساد بين الناس. فإذا أصررت على بخلك وكفرك باليوم الآخر، فاعلم أن نهايتك إلى مزبلة التاريخ فى الدنيا، وفى الآخرة ترمى فى النار كسقط المتاع، بلا قيمة ولا وزن، وتُحطم وتُحرق، وتُحرق أموالك معك والتى جمعتها وعددتها ومنعت منها أهلها المحتاجين.

أيها المغرور أين قارون الذى نائت بمفاتيح أمواله العصبة أولو القوة ؟

أين فرعون الذى قال: أوَ ليس لى ملكُ مصر وهذه الأنهارُ تجري من تحتي ؟

علاما تتكبر أيها الطين ؟!

ألا تعلم أن أولك نطفة قذرة، وآخرك جيفة مزرة، وبين ذلك وتلك تحمل في بطنك العذرا ؟!

ألا تعلم أنك ستموت وتترك أموالك التي تكبرت بها على الخلق، وعصيت بها الخالق؟

أيها المفسد بين الناس ، والمغرور بماله، مالك أوردك المهالك!

(***إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى***).

****

سورة الماعون: وكأني أقرؤها لأول مرة



قال الكلبي ومقاتل: ذكر أبو صالح عن ابن عباس قال: نزلت في العاص بن وائل السهمي، وروى الضحاك عنه قال: نزلت في رجل من المنافقين. وقال السدي: نزلت في الوليد بن المغيرة، وقيل في أبي جهل، وقال الضحاك : في عمرو بن عائذ، قال ابن جريج: نزلت في أبي سفيان، وكان ينحر في كل أسبوع جزورا، فطلب منه يتيم شيئا، فقرعه بعصاه ; فأنزل الله هذه السورة.

فذلك الذي يدع اليتيم، أي يدفعه عن حقه، قال قتادة: يقهره ويظلمه، والمعنى متقارب. وفى سورة (النساء) أنهم كانوا لا يورثون النساء ولا الصغار، فلا شيء للأيتام، ويقولون: إنما يحوز المال من يطعن بالسنان، ويضرب بالحسام.

وإذا طلبت اليوم من أحدهم تعريف الدين، سمعت فلسفة فارغة، وسفاسف على ألسنتهم غائرة، ورأيت قلوباً كالحجارة أو أشد قسوة، مهما طالت لحاهم وقصرت ثيابهم !!! وإنما الدين بكل سهولة وبساطة، هو تلك العلائق بين الناس والتى تقوم عليها الحياة والخلافة فى الأرض. ولذلك يقول ربنا (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) ويقول الحبيب ﷺ: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق). وعن النبي ﷺ أنه قال: (مَنْ ضَمَّ يَتِيمًا بَيْنَ أَبَوَيْنِ مُسْلِمَيْنِ إِلَى طَعَامِهِ، وَشَرَابِهِ حَتَّى يَسْتَغْنِيَ عَنْهُ، وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ الْبَتَّةَ) وقال ﷺ: (أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا وَقَالَ بِإِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى).

والماعون اسم جامع لمنافع البيت، كالفأس والقدر والنار وما أشبه ذلك; قاله ابن مسعود، وروي عن ابن عباس أيضا. ..... فسبحان من أنزل القرآن للإنسان، حتى لا يضل ولا يشقى، فيبدأ الخلافة فى الأرض على علم، ووضع فيه الهدى والبشرى، وذكر التكذيب بهذا الدين، وأوضح المعنى. (*فَذَٰلِكَ ٱلَّذِي يَدُعُّ ٱلۡيَتِيمَ، وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ*)، ذلك المعنى الذي يصب فى الواقع المُعاش والخلافة الراشدة، حتى تلتئم الجماعة ويسعد الناس وتُعَمّر الأرضُ بحقها. إذن التصديق بالدين على الحقيقة، هو العلائق بين الناس.

وهناك مثلٌ آخر للذين يتصورون أن الدين مظاهر وأشكال، بدون إخلاص وأفعال، ودون تأدية حقوق الناس عليهم، ونشر معنى العطاء والتكافل بينهم. (*فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ، ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ،ٱلَّذِينَ هُمۡ يُرَآءُونَ، وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ*) !!!!

أهل الدين يتعرفون على حاجات الآخرين ويسارعون فى قضائها، فالدين مع الضعيف حتى يقوى، ومع الفقير حتى يستغنى، ومع اليتيم حتى يكبر، ومع الهائم حتى يستقر. وقد فرط بعض المنتمين إلى الدين فى هذه الواجبات فتولدت فلسفات تكفر بالله واليوم الآخر بعد أن تبرأت من دين هؤلاء. وكانت الشيوعية آخرها، والتى استطاعت أن تحكم نصف العالم أو تؤثر فى النصف الباقى. ولو أن أهل الدين لاسيما المسلمون، ارتبطوا بدينهم، وساروا به سيرة حسنة، ما ظهر هذا الإلحاد ونكران الدين.

إن الإيمان أيها الإنسان أخو العطاء والعدالة، والشرك أخو الأثرة والقسوة. تدبر قوله تعالى " أرأيت الذي يكذب بالدين فذلك الذي يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين.

" وسورة الماعون، على وجازتها، ترفض العبادة الصورية، وترى أن إعانة محتاج شرط فى الإيمان كإقامة الصلاة وأدائها بخشوع، وتهدد بالويل مانع الماعون عن محتاج إليه...!!"

إذن ليس الدين يقف عند فلسفة اللسان، أو انحناء وقيام، بل هو أخلاق تورث وأعمال تقام، وعلاقات فى المجتمع المسلم الراشد، فيقتدى به مِن حوله الأنام.

ونختم بقول شيخنا **محمد الغزالى**: إن التدين ليس شقشقة لسان، أو عادات أعضاء تلتوى وتنفرد، إنه قبل كل شيء **قلب سليم.... وفكر مستقيم..... ينشأ عنهما ....مجتمع كريم.....**

وبذلك نمتلك قلوب الناس، ونقدم للعالم من حولنا خير الدنيا والآخرة.

ويأتى الكون كله يسألنا عن هذا الدين....فيحملوه معنا ويظهر الدين على الدين كله ،

وهذه رسالتنا ورسالة ديننا الحنيف !

سورة يوسف: وكأنى أقرؤها لأول مرة

سورة مكية، ذكر الله فيه قصة يوسف ولم يكررها فى غيرها من السور. وقد سمى الله هذه السورة أحسن القصص، وآيات للسائلين، وعبرة لأولى الألباب، وتصديق ما قبل القرآن من كتب السماء. وفيها من التربية الإيمانية: التربية بالإبتلاءات والشدائد، التربية بالشهوات، التربية بالقدوات، وعاقبة ذ لك كله.

إن رواية "**أنا يوسف**" للكاتب الكبير أيمن العتوم .. ومهما كتبت فلن أوفيها حقها أبداً.. رواية متميزة فيها تفاصيل دقيقة ودروس عظيمة من قصة سيدنا يوسف عليه السلام، دروس لم أكن أعرفها كلها، ولم أقرؤها في أي تفسير للقرآن، على الرغم من قراءتي المتعددة لسورة يوسف.. فشكراٍ للكاتب الممتع.

وإليكم هذا النص المقتبس وعنوانه "**شكرا لسيدنا يوسف**" هذا نصه:

1. شُكرا لسيدنا يوسف، من قصتك تعلمت أن بعض الناس يكرهوننا لمزايانا وليس لعيوبنا.. فقد كرهوك لأنك.. جميل.. وطيّب .. ولا تشبههم.. والناس لايريدون من يذكرهم بنقصهم!
2. وتعلمت أن الطعنة تأتي أحيانًا من حيث لا نحتسب، وأنك حين سلمت من الذئب لم تسلم من إخوتك!
3. وتعلمت أن لا أقصص على الجميع كلَّ خير وهبني الله إياه.. لأن البعض عيونهم ضيقة.. وقلوبهم أضيق.. ينظرون إلى ما في أيدي الآخرين.. أكثر مما ينظرون إلى ما في أيديهم هم.
4. وتعلمت أن المجرمين يلبسون أحيانًا ثياب الناصحين.. فقد قال إبليس لأبيك آدم من قبل: "هل أدلك على شجرة الخلد... إنى لك من الناصحين ".. وقال إخوتك لأبيك يعقوب: " إنا له لناصحون " "وإنا له لحافظون "!

5 شُكراً لسيدنا يوسف، من قصتك تعلمت أن الحسد وراءء كل شر، فهو أول ذنب عُصي الله به في السماءء، وما رفض إبليس السجود لآدم إلا حسدا، وهو أول ذنب عُصي الله به في الأرض، فما قتل قابيل أخاه إلا حسدا، وما أُلقيتَ في الجب إلا حسداً.

6 وأن بعض الشر أهون من بعض.. وأن الناس كما يتفاوتون في صلاحهم يتفاوتون في شرهم.. وقد أنجاك أقل إخوتك شراً إذ قال : "لا تقتلوا يوسف"!

7 وتعلمت أن لا أبوح بمخاوفي كي لا يحاربني الناس بها، فقد قال أباك : "أخاف أن يأكله الذئب".. وقال له إخوتك (أكله الذئب).

8 وتعلمت أنه لا يوجد جريمة كاملة.. وأن المجرم تُوقع به تفاصيل صغيرة فاته أن ينتبه لها.. فقد نسي إخوتك أن يمزقوا قميصك.. فأي ذئب هذا الذي يفترس صبيًا ويبقى قميصه سالمًا !

9 وتعلمت أن الخير والشر ليس في الأشياء. وإنما في طريقة استخدامنا لها! فقميصك كان مرةً أداة كذب.. وكان مرةً دليل براءة.. وكان مرة دواءً وشفاءً! ..

10 وتعلمت أن هذه الدنيا لا خير فيها، بئس دار تُباع وتُشترى فيها أنت، بدراهم معدودة!

11 وتعلمت أنّ المدارس والجامعات والكتب ليست إلا أسبابًا.. وأن المعلم الحق هو الله : "لنعلمه من تأويل الأحاديث".. "آتيناه حكمًا وعلمًا" وأن الله يهب العلم على قدر التقوى "واتقوا الله ويعلمكم الله" وأن المسألة لم تكن يومًا مسألة عقول بل مسألة قلوب..!

12 من قصتك تعلمت.. أن الكريم لا يغدر .. وأن الحر لا يقابل الإحسان بالإساءة.. وأن النبيل لا يبصق في بئر شرب منه. فما أجملك وأنت تقول: "معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي"!

13 وتعلمت أن المعصوم من عصمه الله، وأن المفتون من تركه الله لشهواته، وأن من كان مع الله في يسره كان الله معه في شدته! (فصرف عنه كيدهن)

14 كما تعلمت أن العالم كله لا يمكنه أن يجبرني على فعل ما لا أريد أن أفعل.. فتوقفت عن التعلل بالظروف والأوضاع ! كانت امرأة العزيز سيدتك، أغلقت عليك الأبواب، راودتك.. اجتمع فيها: (الجمال.. والسلطة.. والرغبة..) ولكنك قاومت لأنك لا تريد! "معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي"!

15 وتعلمت أن الدنيا حرب مستعرة بين الحق والباطل لا تهدأ إلى قيام الساعة، الجنود فقط هم الذين يتغيرون، صراعك مع امرأة العزيز هو صراع العفة والشهوة في كل عصر، وصراعك مع إخوتك هو صراع الحب والبغض في كل عصر

16 وتعلمت أن الله إذا أراد أن يُظهر أمراً ، لا يستطيع كل الناس ستره. (وشهد شاهد من أهلها)

17 من قصتك تعلمت أنّ في السجن مظلومين كُثر، وأن الناس قد يدخلون السجن عقابًا على عدم ارتكابهم الذنب، وأن الظلم قديم في الناس.

18 وتعلمت أن حلاوة الإيمان تغلب مرارة الحياة، وأن حلاوة إيمانك أنستك مرارة السجن، وأنك لو خنت - ومعاذ الله أن تفعل - لصار القصر على اتساعه ضيقًا عليك.

19 وتعلمت أن في كل مكان متسَّع للدعوة، مملوكًا في القصر تدعو إلى الله، سجينًا في السجن تدعو إلى الله، عزيزا على كرسي الملك تدعو إلى الله.

20 وتعلمت أن المعدن الأصيل لا تُغيره الأماكن، في السجن قيل لك " إنا نراك من المحسنين " وعلى كرسي الملك طلبوا منك العفو لأنهم رأوك من المحسنين .

21 وتعلمت أنّ الفساد يكون غالبًا من سوء الإدارة لا من قلة الموارد، وأنك حين نجوتَ بأهل مصر من القحط لم تأتِ لهم بموارد جديدة، وإنما بعقلية إدارية جديدة للموارد القديمة.

22 وتعلمت أن أُخطط وأدبر، وأنه لا يصل الناس إلى حاجاتهم إلا بالتخطيط والتدبير، القحط كان له خطة وتدبير، وإبقاءء أخيك عندك كان له خطة وتدبير!

23 وتعلمت أن الله دومًا يختار سلاحًا للمعركة لا يخطر على بال أحد، كان قادرًا أن يُرسل ملائكة ليحطم جدران السجن ويُخرجك، ولكنه أرسل إلى الملك حُلُمًا!

24 وتعلمت أن المناصب تكليف لا تشريف، وما طلبت خزائن الأرض لتملكها وإنما لتوزعها، ولو علمت أن هناك من هو أقدر منك على هذا ما طلبتها!

25 وتعلمت أن للحب رائحة لا يعرفها إلا المحبون، لذلك وجد أبوك ريحك قبل أن يصله قميصك!

26 من قصتك تعلمت أن لا أشكو بثي وحزني إلا إلى الله، فالناس إما محب وإما مبغض، والمحب سيحزن لأجلي، والمبغض سيشمت بي، وكلاهما لا يملك من أمر حزني شيئًا، فلماذا لا أشكو بثي إلى من بيده الأمر كله؟!

27 من قصتك تعلمت أن أتجاهل لإبقاء ود، وأن أتصرف كأني لم أفهم لإبقاءء علاقة، وقد أسررتها في نفسك وكنت قادرًا على أن لا تفعل، ولكن النبيل يتجاهل وقد قالت العرب سيد قومه المتغابي...

28 تعلمن من قصة يوسف وأبيه يعقوب أنه كلما زاد البلاء (على يعقوب عليه السلام) عندما أخبروه بفقد (بنيامين) زاد حسن ظنه بربه، ويقينه بقرب الفرج، قال: (عسي الله أن يأتينى بهم جميعا).

29 نسي الجب وما فعله إخوته، وقال (وقد أحسن بى إذ أخرجنى من السجن وجاء بكم من البدو)، ولم يذكر الجب، وهذا من عظيم خلقه... لأن ذِكر الجب فيه توبيخ لإخوته.

30 شكراً لسيدنا يوسف الذى قال لإخوته المخطئين فى حقه (لا تثريب عليكم اليوم) ، مع أن أبيهم قال لهم (سأستغفر لكم ربى)، الشباب أسهل من الشيوخ فى طلب العفو!

****

سورة الكهف: وكأنى أقرؤها لأول مرة

(تأملات ومقتطفات من السورة)

بسم الله الرحمن الرحيم

(الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا 1 قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا 2 مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا 3 وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا 4 مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ۚ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا5 فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا 6 إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا7 وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا 8أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا 9إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا 10) .

وقال تعالي فى نهاية السورة: (قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا)

ووردت عدة أحاديث في فضل سورة الكهف وفضل قراءتها يوم الجمعة وليلتها، بعضها في الصحيحين :

- عن البراء بن عازب قال: كان رجل يقرأ سورة الكهف وإلى جانبه حصان مربوط بشطنين فتغشته سحابة فجعلت تدنو وتدنو وجعل فرسه ينفر، فلما أصبح أتى النبي ﷺ فذكر ذلك له، فقال: تلك السكينة تنزلت بالقرآن . متفق عليه.
- وفي صحيح مسلم مرفوعاً: من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال.
- عن أبي سعيد الخدري قال: "من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة أضاء له من النور فيما بينه وبين البيت العتيق". رواه الدارمي (3407). والحديث: صححه الشيخ الألباني في " صحيح الجامع.(6471) "

- من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين". رواه الحاكم (2 / 399) والبيهقي (3 / 249). والحديث: قال ابن حجر في "تخريج الأذكار": حديث حسن، وقال: وهو أقوى ما ورد في قراءة سورة الكهف. انظر: " فيض القدير " (6 / 198). وصححه الألباني في " صحيح الجامع "
- وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: "من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة سطع له نور من تحت قدمه إلى عنان السماء يضيء له يوم القيامة، وغفر له ما بين الجمعتين." قال المنذري: رواه أبو بكر بن مردويه في تفسيره بإسناد لا بأس به. " الترغيب والترهيب " (1 / 298).

ولا شك أنه قد ورد فيها أحاديث ضعيفة مثل حديث: من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة فهو معصوم ثمانية أيام من كل فتنة تكون فإن خرج الدجال عصم منه. ومثل حديث: ألا أخبركم بسورة.... من قرأها غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى وثلاثة أيام .. وعلى ذلك فإن الأحاديث الواردة في فضل قراءة سورة الكهف يوم الجمعة منها الصحيح ومنها غير ذلك.

سورة الكهف فيها القصص الحق، التي تحكي مسيرة الحياة، بل مسيرة الدعوات والرسالات على مر العصور.

وسورة الكهف تقف عند كثير من كهوف الحياة، ومنها كهوف الفتن وقوارب النجاة فيها، وكهوف الجهاد والدعوة، وقوارب النجاة في طريقها، وكهوف العُمر وقوارب النجاة فى تقلباته من الضعف إلى القوة وكذلك من الاستضعاف إلى التمكين.

ولأمر ما والله أعلم، أرشدنا الحبيب ﷺ لقراءة سورة الكهف كل أسبوع رحمةً من ربك، لمعرفة قصة الحياة والفتن والجهاد والدعوة وتلك المتغيرات الى تقابلنا كل يوم فى حياتنا، وفيها كذلك العواصم من قواصم تلك الفتن والتقلبات

الطارئة ومنها ظهور المسيح الدجال، ليكون معنا قارب نجاتنا كل أسبوع متجدداً وحافظا. وقارب النجاة تتنزل معه الرحمات والرشد من رب السموات (ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا). ليكون في ذلك النور الذي نسير في ظلاله كل أسبوع .

وفي السورة لما خشي فتية الكهف على أنفسهم فتنة الدين وطغيان الطغاة، التزموا الصحبة الصالحة وآووا إلى الكهف، فكان كهفهم رُشداً ورحمة.

وأما صاحب الجنتين فدخل فى كهف ماله واستبد واستكبر، فكان كهفه بلاءاً ونقمة.

وأما موسى فدخل فى كهف العلم، فصبر وتواضع، فكان كهفه أن تعلّمَ ما لم يحط به خُبرا

وأما ذو القرنين فدخل كهف السلطان والتمكين وامتلاك الأسباب، فأتبع سبباً ودعى إلى الله وأصلح، فكان كهفه إصلاحاً ودعوة.

وهكذا كانت قَصص سورة الكهف، وجِماعُ ذلك كله، أن النجاة من كهوف الدنيا لا تكون إلا بهذا الكتاب القيم:

والذى أنزله الله على سيدنا محمدٍ ﷺ وبه قوارب النجاة جميعاً، والذى أوحاه الله إلى حبيبه نذيراً وبشيراً، يقص القصص عن الغابرين من الذين عملوا السيئات، وكذلك من الذين عملوا الصالحات، للعبرة والعظة وأخذ الدرس، وألا نلجأ إلا إلى الواحد الأحد، وألا نشرك به شيئاً..... ولذلك كان صدر السورة وختامها.

****

هناك أربع قصص رئيسة: أما الأولى فقصة أصحاب الكهف والتي بدأت بها السورة، ثم انتهت السورة بقصة ذي القرنين، وبينهما قصتان، الأولي قصة صاحب الجنتين والثانية قصة موسى مع العبد الصالح.....

فقصص السورة، هي أنواع الكهوف التي تحيط بنا وقوارب النجاة فى ذلك كله: فيها قصص البلاءات والفتن، والجهاد وأنواعه، والدعوة وأطوارها، فمثلاً فتنة الدين لأصحاب الكهف، وفتنة المال والغنى لصاحب الجنتين، وفتنة العلم فى قصة موسى مع الرجل الصالح، وفتنة المُلك والرئاسة والسلطة فى قصة ذي القرنين..... ثم قوارب النجاة

وكذلك كانت قصص السورة وكأنها مراحل الحياة والدعوة إلى الله كذلك: ويسلم بعضها إلى بعض، وتخلل ذلك كثير من إرشاد النبيء ﷺ وتثبيته، وأن الحق فيما أخبر به، وأن أصحابه الملازمين له خير من صناديد المشركين، ومن الوعد والوعيد، وتمثيل المؤمن والكافر، وتمثيل الحياة الدنيا وانقضائها، وما يعقبها من البعث والحشر، والتذكير بعواقب الأمم المكذبة للرسل، وما ختمت به من إبطال الشرك، ووعيد أهله، ووعد المؤمنين بضدهم، والتمثيل لسعة علم الله تعالى، وختمت بتقرير أن القرآن وحي من الله تعالى إلى رسوله ﷺ ، فكان في هذا الختام رد العجز على الصدر، وتطابق ما بدأت به السورة مع نهايتها ولله الحمد.

****

بدأت السورة بالحمد على نعمة القرآن الذي أنزله الله قَيِماً على ما سواه من الكتب والأفكار، ليكون بشيراً لأهل العمل الصالح، ونذيراً للذين يجعلون مع الله إلهاً آخر، داعياً الناس إلى السباق في ميدان العمل الصالح، ليرى بصيغة التفضيل، من هو أحسن وأفضل وأجمل وأسرع في هذا الميدان (لنبلوهم أيهم أحسنُ عملاً). ثم انتقل القرآن إلى ذكر الفتن والتي تعترض طريق الصالحين، وكيفية الخروج منها ومآل الفريقين، وكيف كان إحسان العمل، من أبطال وشخوص تلك القصص، وذلك في أربع قصص تالية.

* أما قصة أصحاب الكهف: فهي تعبر عن مرحلة الضعف، والهجرة بالإيمان خوفاً من الكفار والحاكم الظالم وكان شعار هذه المرحلة (وليتلطف ولا يشعرن بكم أحداً) الحذر والحيطة. وهي أيضاً مرحلة وفتنة الجهاد بالكلمة. وأن الله هو الذي يهدى ويربط على قلوب الدعاة في هذا الطريق الشاق !.

* وأما قصة ذي القرنين: فهي تحكي مرحلة التمكين والنصر بأسبابه ومقومات استمراره، وكان شعارها الأخذ بالأسباب (فأتبع سبباً). وهي أيضاً فتنة كهف المُلك والسيادة وقوارب النجاة فيه.

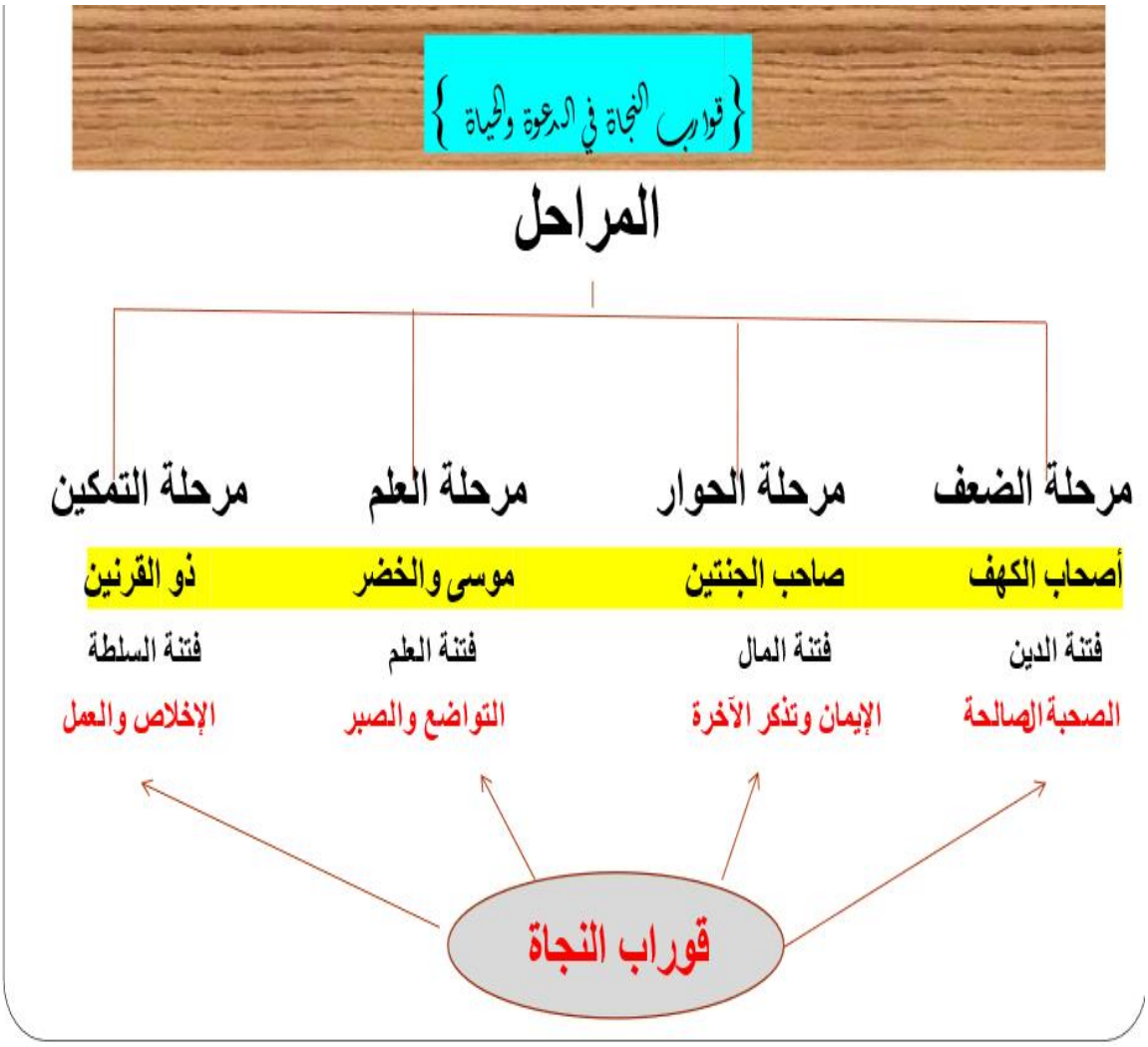
* وأما القصتان اللتان في الوسط: كان شعار العبد المؤمن مع صاحب الجنتين الحوار وتثبيت العقيدة (وهو يحاوره)، وشعار موسي مع العبد الصالح العلم والإحاطة بالواقع (أن تعلمني...)..... فكأنهما تحكيان الوسائل وكيفية العبور من مرحلة الضعف، الى مرحلة التمكين.

وفيهما كذلك فتنة الحوار مع الناس، وكذلك فتنة العلم بآدابه وأطرافه..... وكأن المقصود في هاتين القصتين أيضاً وفى هاتين المرحلتين, واللتين جاءتا بين مرحلة الضعف ومرحلة التمكين، أن الحوار مع تحصيل ونشر العلم، هما الوسيلتان، أو الجسر الذي نعبر عليه من مرحلة الضعف والهجرة الى مرحلة التمكين والقوة .....

إذن: الحوار { لتكثير أنصار العقيدة)..... **والعلم** (لنشر الوعي والقدرة على التغيير).

ملاحظة: بالرجوع إلى نوع الحوار وطريقته، فالبداية بموضوع العقيدة، والذى لا يختلف عليه اثنان مهما كانت المسافة الفاصلة بين الطرفين. فالداعية فى قصة صاحب الجنتين كان يذكر صاحبه بالله ونعمه وقدرته عليه، وقد ظهر أثر ذلك عندما قال صاحب الجنتين (ياليتني لم أشرك بربي أحدا) ، ولكن بعد فوات الأوان.

وهكذا يكون الحوار الجاد ومن ورائه تغيير الوعى وكسب الأنصار للدفاع عن العقيدة أولاً ، وليس عن فكر معين أو فلسفة معينة يمكن الخلاف عليها، وتؤدى إلى المفاصلة والفرقة من البداية


{قوارب النجاة في الدعوة والحياة}
المراحل
مرحلة الضعف
مرحلة الحوار
مرحلة العلم
مرحلة التمكين
أصحاب الكهف
صاحب الجنتين
موسى والخضر
ذو القرنين
فتنة الدين
فتنة المال
فتنة العلم
فتنة السلطة
الصحبة الصالحة
الإيمان وتذكر الآخرة
التواضع والصبر
الإخلاص والعمل
قوراب النجاة

1- القصة الأولى: أصحاب الكهف

إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ..... فتيةٌ، كانوا شباباً ربط الله على قلوبهم فامتلكوا شجاعة المواجهة (دون كل الناس). ثاروا على مَلِكٍ ظالمٍ، يظن نفسَه إلهاً من دونِ الله. كانوا أول من دفع الثمن من (أنفسهم وأولادهم وأهليهم). عاشوا (محنة المطاردة وفراق الأهل). كان الكهف ميدان سجنهم و(ميدان انتصارهم) . . كانوا يظنونه (مجرد يوم أو بعض يوم). استوعبوا من سار معهم على الطريق، كأنه واحد منهم (حتى لو كان مجرد كلب)... كان تمام نصرهم بعد زمان طويل وتضحيات أجيال، لكنه أصبح (آية للناس على مدار الزمان). أصبح تاريخاً، يُتعبد به يومياً بقراءة سورة الكهف.

****

(فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا) آية 10)

طلبوا الرشد ولم يطلبوا النصر، سبحان من أرشدهم إلى هذا الدعاء !!!

هذا الدعاء يشمل رحمة الدنيا ورحمة الآخرة، وهذه غاية كل مؤمن من كل عمل يعمله، إنهم توجهوا إلى ربهم وخالقهم يطلبون رحمته ليحفظهم من الشر ويوفقهم إلى الخير، كانوا على تخوف من أن يكون قرارهم غير صائب، فدعوا الله أن ييسر لهم كل الأسباب الموصلة إلى الرشد واتخاذ القرار الصحيح، فجمعوا بين السعي والفرار من الفتنة، وبين دعائهم وتوجههم لله تعالى، ولم يتكلوا على أنفسهم أو أراءهم أو اختياراتهم، ولذلك استجاب الله دعاءهم وقيض لهم ما لم يكن في حسابهم. ولعل هذا من معاني النور الذي أشار إليه رسول الله في الأحاديث السابقة.

وهذه الآية صريحة في الفرار بالدين، وهجرة الأهل والبنين، وترك الأموال والأوطان، خوف الفتنة وما يلقاه الإنسان من المحنة، وقد خرج النبي ﷺ إلى المدينة حاملاً دينه وأصحابه معه، من أجل السلامة بالدين والنجاة من فتنة المشركين والظالمين، وأيضاً لأرض جديدة تنمو فيها الدعوة، وتقام فيها الدولة.

°°

(إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السماوات والأرض لن ندعو من دونه إلها لقد قلنا إذاً شططا) آية 13

عاشوا غرباء واستيقظوا غرباء،

لم يحدث التغيير على أيدي أهل الكهف ولم يحضروه من الأساس ،

نعم لم يحدث التغيير إلا بعد عشرات السنين !

لكن يكفيهم أنهم كانوا شعلة البداية (إذ قاموا...)، قاموا وتحركوا ولم يقعدوا، وكانوا أول من ترك الفراش وخرج، وأول من قام وهتف، وأول من تظاهر ضد الظلم، ، وأول من باع المنصب والمصلحة، وأول من قال لا، وثبت عليها، وقد عاشوا أيام المطاردة والخوف . أرأيت كلمة (وربطنا عللى قلوبهم).

يكفيهم غربتهم داخل مجتمعهم أولاً، وغربتهم الطويلة في كهفهم آخراً .

ويكفي ذلك ليخلدهم القرآن، ويخلد فعلهم وجهادهم ومكانهم، وحتى كلبهم الذي صاحبهم، قد نال شرف الذكر في القرآن إلى يوم القيامة. ولو كان النصر بعد قرون طويلة، فقد أدوا ما عليهم من واجب الدعوة والنصرة.

****

تأملت قوله تعالى في السورة : " وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من أمركم مرفقا" (16)

فوجدت أن مفردات هذه الآية تستحق التأمل، فهي مفردات مؤنسة ... مبهجة ... عظيمة الدلالة، كل كلمة منها تستحق مقالاً مستفيضاً، تأملوا معي هذه الكلمات والعبارات : " فأووا – ينشر لكم ربكم– من رحمته – ويهيئ لكم – من أمركم مرفقا ... في كل كلمة دلالات عجيبة ومعان فياضة..

شباب ألجأهم الطغيان إلى كهف مهجور، على قمة جبل موحش تنقطع فيه أسباب الحياة– ألا لعن الله كل الطواغيت– فجعل الله لهم من هذا الكهف "مأوى" يجمع لهم بين الأمن والحماية والسكينة فيتحول المكان الموحش إلى مكان مؤنس مألوف، تزينه صحبة طيبة ولا يطاله خوف ولا مكروه .. مكان يأوي إليه الجسد المتعب فيستريح، وتأوي إليه الروح المشتتة فتطمئن، وكلمة المأوى هنا تذكرنا بيوسف حين "آوى إليه أخاه".. فانتقل من خوف إلى أمن ومن فقر إلى غنى ومن وحشة إلى أنس وصحبة!

وتذكرنا بقوله تعالى لنبيه :" ألم يجدك يتيما فآوى"، آواك ربك يا محمد، فعالج بإيوائه الكريم آثار اليتم القاسية: معنوياً فهداك من كل حيرة، ومادياً فأغناك من كل فقر!

فسبحان من جعل من الكهف الموحش مأوى لهؤلاء الفتية المظلومين!

والكهف ضيق مظلم لكن الله تعالى نشر فيه من رحمته ... لم يقل أنزل ولا جعل .. بل نشر ... نشر فيه من رحمته حتى فاضت بها جنباته .. فاتسع ضيقه واستنارت ظلمته وصار في نفوس المقهورين قطعة من الجنة فطابت نفوسهم وسكنت قلوبهم وناموا قريري الأعين ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا!

ونشر لهم هذه الرحمة خارج الكهف كذلك، فأضلهم الطلب وزاغت عنهم الأبصار!

فما أرقها وأحناها وأجملها عبارة : " ينشر لكم ربكم من رحمته " فتنحل العقد وتطيب النفوس ويتسع المضيق وتتبدد الأخطار!

"ويهيئ لكم من أمركم مرفقا" لماذا مرفقا؟ لماذا ليست طعاما أو شرابا أو رزقا؟

المرفق أسباب الحياة من طعام وشراب وهواء ودواء وراحة ونوم وغير ذلك، فهي جامعة لكل حاجاتهم التي يرتفقون عليها. لكن لماذا يهيئ؟ لماذا لم تأت يرزق أو يبعث أو ينزل؟؟

لأن "يهيئ" تعني أن يأتي إليهم ما يحتاجون إليه من غير مشقة ولا اكتساب ولا تعب، بل يقدم إليهمً صفوا خالصاً من الجهد، مخلصاً من الضرر .. وتعني أن يأتي إليهم في أجمل صورة وأنعمها وأطيبها؛ ذلك أن الله هو الذي هيأه!

فكانوا يُطعَمون ويُسقَون وهم نيام .. وكانوا يُقلبون ذات اليمين وذات الشمال حتى لا تتقرح جلودهم، وكانت الشمس تدخل إلى كهفهم لتطهره وتتزاور عن أجسادهم حتى لا تؤذيها!

فهل عرف الناس سكنا فيه من المرافق " الفارهة المبهرة" مثل ما كان في ذلك الكهف العجيب ... طعام يصل إلى جوفك بانتظام لا. يحتاج إلى مضغ ولا هضم ولا إخراج!.. وتكييف يغير درجات حرارته حسب حاجة جسمك ... وتعقيم يومي يزود الجسم بحاجته ويطهر البيت من أسباب الأذى.. وفراش وثير يقلبك برفق وهدوء وأنت لا تشعر!

لقد اعتزل هؤلاء الفتية طغيان الجبابرة –وهذا غاية ما كان في وسعهم – ... فآواهم الله إلى كهف الرحمة والسكينة، وكأنه – سبحانه– أراد أن يتحول الخطر الذي أحاط بهم – ما داموا قد التجؤوا إليه وتركوا ما سواه – إلى حلم جميل طويل وحياة تحوطها رحمة الله التي كتبها لأوليائه الصالحين!

وكأن أهل الإيمان إذا قست عليهم صدور الرجال لانت لهم صخور الجبال!

فما أنعم المؤمنين برحمة الرب الكريم! ..... وما أشقى الطغاة بمصير الطغيان الوخيم!

فلو قيل لهم (فأووا إلى الكهف) وستنتصرون، ولكن بعد مئات السنين، قد يجزعوا وتنفطر قلوبهم حزناً.

ولو قيل لهم (فأووا إلى الكهف) وستنتصرون بعد يوم أو بعد يومين، لربما ما صدقوا ولم تتصور عقولهم.

ولكن قيل لهم (فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من أمركم مرفقا) ،

الآن وقد فعلتم ما أمرتكم به في حق دعوتى، فأنا ناشر لكم حفظي ورحمتي،

وأما نصر الدعوة، وموعد هذا النصر، فهي دعوتي أنا، وأنا أحق بتحديد زمان ومكان النصر، والتمكين لها في العالمين.

اجتمع أهل الكهف اجتماعهم الأخير، يفكرون ويضعون الخطط ويعدون للأيام الصعبة القادمة .

ماذا عساهم يفعلون للمضطهَدين والمعذَبين ؟

وما هو المتوقع بعد انكشاف أمرهم ؟

ماذا سيحدث مع أولادهم وزوجاتهم وأتباعهم المؤمنين . ؟؟

ماذا سيفعل الملك وأتباع الملك وجيش الملك وشعب الملك، وما هي الخطة المضادة والحل السليم ؟؟

تنحوا جانباً رغماً عنهم، اعتُقلوا في كهفهم، هاجروا في مكانهم.

ولحكمة الله ناموا نومهم الطويل .

لم يعد لهم ذكر، انقطعت الأخبار .

لم تعد هناك توجيهات منهم لأتباعهم ولا تعليمات.

لم يعد هناك للدعوة كباراً ولا قادة، نام أهل الكهف.

ولكنهم تركوا ورائهم عملهم الصالح القديم يتحرك، والنبتة التي زرعوها تنمو وتعمل، وشجاعتهم في إيقاد شعلة البداية، وهمتهم العالية والتي تستلهمها الأجيال فترفع الهمم وتلهب الحماس عشرات السنين.

أجيال قامت وأجيال ماتت ودماء سالت، إحباطات وإخفاقات وعودة من جديد، إصرار وآمال، إعداد واستعداد، مغالبة للباطل وصراع طويل مرير لعشرات السنين.

سنوات طويلة.. نفس الفكرة ونفس الدعوة ونفس العقيدة.. ولكن. إبداعات جديدة تناسب المرحلة.

عقول جديدة تناسب الزمان. تضحيات جديدة كبيرة تناسب العدو المتربص والهدف الكبير.

من مات شهيدا، من ضحى ومن بذل، حتى تم النصر على أيدي الذين كانوا صغارا ،

لا داعي لأن يعرفهم أحد ، لم يذكرهم القرآن ، لم يذكر القرآن كيف مرت تلك السنون الطويلة .

ولا عدد سنين الاعتقال وأماكن المنافي. وكيف تم الانتصار ؟؟

وكيف قامت للحق دولة ؟؟

إنها فقط إرادة الله وتوفيق الله وترتيب الله. ورجال المرحلة الذين يعدهم الله والسنون الطويلة اللازمة للنصر حسب نواميس الله وأسبابه وسنته في التمكين وطريقة الانتصار التي يريد.

مهما ذكر التاريخ فلن يوفى حق الدماء الكثيرة والتضحيات الكبيرة وسنوات السجون وأيام الخوف وليالي المطاردات، المهم أن النصر تم. من بذل سيأخذ أجره كاملاً في مكان آخر. ومن خاف هنا سيكون آمنا يوم القيامة.

ومن ضحى سيأخذ جزاءه ممن لا تضيع عنده الحقوق.

رب الناس ومالك الناس... ملك يوم الدين..

لن يضيع أجر من بذلوا في بداية المدافعة والمضمار.

ولن يضيع أجر من بذلوا ولم يروا الثمار .....

ولن يضيع أجر من تم على أيديهم الانتصار .

****

وهل كان الفتية أهل الكهف لا يستحقون النصر:

نحن نقول أحياناً، ويقول الدعاة وأصحاب الرسالة، لو كنا نستحق النصر لانتصرنا!

وهذه ليست مجرد عبارة، وإنما مدخل من مداخل الشيطان لليأس والقعود.

وهل كان الفتية لا يستحقون النصر عندما هاجروا ودخلوا الكهف ، ثم استحقوه بعد ثلاثة قرون وهم نائمون ؟!!

وهل كانوا أهل تمكين أم أهل استبدال، وهم أنفسهم أهل الكهف استيقظوا كما ناموا، ولم يطرأ عليهم جديد ولم يصبحوا أكثر صلاحاً أو قرباً من الله، ولا أقل صلاحاً وقرباً، وكذلك لم تتغير أشخاصهم.

فماذا حدث لينامواخائفين مطاردين، ويستيقظوا منتصرين ؟!

اعلموا أن المطلوب من الفتية هو العمل فقط،

وأما نصر دعوة الله، فالأمر موكل لصاحبها وهو الله، يمن به متي شاء وأين شاء على من يشاء.

* هذا سيدنا موسى الذي قُتل وصلب في حضرته مئات السحرة المؤمنين وكأنه كان منهزما،

هو نفسه موسى الذي انشق له البحر بعدها بعدة أيام ..... ولم يكن موسى يدري شيئا عن التخطيط الالهي..

قد كان مبلغ تصوره ومنتهى خياله يقف عند النجاة ببني اسرائيل من عدوهم..

ولذا عندما عبروا البحر المشقوق، التفت موسى ليضرب بعصاه ثانية ليغلق البحر فيحول بينه وبين العدو..

لكن يأتيه الامر الإلهي " واترك البحر رهواً" اي دعه علي حاله وهيئته المشقوقة

إنها ليست نجاتك وحسب.. إنه تطهير للأرض كلها من رجس الظالمين.. "إنهم جند مغرقون"

*وهذا سيدنا محمد ﷺ في سنوات المرارة والابتلاء، من حصار شعب أبى طالب، إلى قتل أصحابه وتعذيبهم فى مكة، إلى هزيمة أُحُد ومحنة الرجيع وحصار الخندق، حتى قال المنافقون ما وعدنا الله ورسوله الا غروراً، ولقد كانوا يوم الخندق أشد خوفاً وإحساساً بإحاطة العدو مشركين ويهود ومنافقين وسطهم فى كل ما مضى من أيام. وكأنه قد يظن ظان أنه كان ﷺ وأصحابه منهزمين في كل ما مضى !!!

وهم الصحابة أنفسهم وهو النبي نفسه وهو الطريق نفسه. فما الجديد الذي طرأ ليستحقوا النصر؟

إلا أسباب هيأها الله، وكتاب بلغ أجله، وتوقيت أراده الله، ودنيا هيأها الله، وبلاغ للمؤمنين وللمشركين، ووضع أراده سبحانه وتعالى ؟!!.... فليس بالضرورة إذن لكي تكون على الحق، أن يُمَكن لك وقتما تقرر أنت أو تظن أنت. ولكن قد تكون على الحق ولا يُمَكن لك إلا بعد حين. إنها إرادة الله ومشيئته !

إنها المدافعة المستمرة بين الحق والباطل وبين الزبد وما ينفع الناس. جولة هنا وجولة هنا فى دنيا لا تساوى جناح بعوضة، ليتميز القاعدون والعاملون، والمستحقون للجنة الدائمة والمستحقون للسعير والعذاب المقيم.

يقيناً وعقيدةً، سينتصر الحق بعد أن تتحقق سنن الله، وتتهيأ الدنيا ويُؤخَذ بكل الأسباب، والتي ليست بالضرورة مادية فقط، وعندها يستحق أعداؤه الهزيمة التي ليست بالضرورة هزيمة قتال وحرب.

يستغرق ذلك ما يستغرق من الزمن والإعداد والأخذ بالأسباب، والعاقبة للمتقين في النهاية .

ومن مات في هذه الأثناء من أهل الحق أو أهل الباطل، فجزاؤه يوم القيامة لا يعدله كل نعيم فى الدنيا، ولا كل شقاء في الدنيا.

﴿ وكلبهم باسطٌ ذراعيه بالوصيد﴾ آية(18)

إن كانت حراسة الكلب للحق وأهله لم تضع هباءاً، فكيف بكرام الناس الذين بذلوا دمائهم وأموالهم ومستقبلهم؟! فهذا كلب أهل الكهف، مع أنه مجرد كلب إلا أن صحبته للصالحين رفعت قدره ومنزلته ...

تم تشريفه معهم، وذكره فى القرآن معهم، وتخليد فعله معهم، والتأكيد الربانى على وجوده معهم.

نام ثلاثمائة عام وتسعة معهم، وأحياه الله معهم، وحضر انتصار الحق بعد السنين معهم، وفرح بالنصر معهم وعاش زماناً غير زمانه معهم.

عاش معهم محنة الخوف والمطاردة فاستحق أن يعيش معهم المعجزة. وأن يكون جزءاً من المعجزة.

كلب أصحاب الكهف الذي لا تكليف عليه خُلّد ذكره في القرآن الكريم إلى قيام الساعة بسبب صحبته الصالحين!!!

هذا جزاء صحبة الصالحين وأهل الحق.....

صحبة الصالحين تجلب البركات ..... وصحبة العصاة تجلب الحسرات

وفى المقابل هذا ابن سيدنا نوح: ابن نبي، صاحَب المعاندين المكذبين، فاستحق أن يكون منهم. ويبتلعه الطوفان معهم. ويغرق ويموت معهم. ويحشر يوم القيامة معهم.....هذا جزاء العيش فى الباطل وصحبة أهل الباطل! .

****

وقفة مع كلب الفتية في سورة الكهف:

نستغرق وللأسف الوقت والجهد فى البحث عن لون كلب أهل الكهف، واسم هدهد سليمان، وهل حوت يونس مات أم لا زال على قيد الحياة؟!!

للأسف نحن يُسعدنا التعرف على لون كلب أهل الكهف، وأما أعداؤنا فيسعدهم أن يتعرفوا على الحديد وبأسه الشديد، والنفاذ من أقطار السماوات والأرض وبكل سلطان؟!!

والأخطر من الأعداء بحق، هم هؤلاء المشايخ واللحى والعمائم، الذين أقنعوا المسلمين أن العلم الذى خصه الله بالفضل فى القرآن، هو ما يسمى بالعلم الشرعى، دون علم الحياة والواقع وعلم خلافة الأرض !!!!!!!!!!!!!!!.

تجاهلوا عمداً آيات صريحة فى القرآن تحض على علوم الحياة كقوله تعالى.

(أولم يتفكروا فى أنفسهم، ما خلق الله السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق) الروم ... هذا **طب وفلك.**

(أفلا ينظرون الى الإبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الأرض كيف سطحت) الغاشية ..... **علوم الحيوان والجيولوجيا**. وغيرها وغيرها كثير !

تجاهلوا عمداً عشرات من هذه الآيات الكريمة لصالح جدالات عقيمة، وانشغلوا بسفاسف الأمور، وكأنهم كانوا يعملون لصالح أعداء المسلمين طوال عشرات السنين، لتخدير الأمة، ويتظاهرون بأنهم يعملون لصالح الدين، وأغلبهم مجرد جهلاء، عن جهل حقيقى وعن عمدٍ أحياناً كثيرة! هذا غاية علمهم، وأما عظائم أمور الدين فهم يحاربونها! حتى تظل أمة القرآن في ذيل الأمم، في سبات عميق، تعيش على فتات الأمم الأخرى في كل مجالات الحياة القوية والشريفة.

يقيناً لو كان رسولُ الله حياً بيننا لاتهم هؤلاء الشيوخ بالتنطع وإضاعة الدين، ولو كان سيدنا عمر بيننا لضرب العشرات منهم، بالدرة وعلى رؤوس الأشهاد.

(وليتلطفْ ولا يُشعِرن بكُم أحداً) الكهف: آية 19

فتلك مرحلة الضعف، وأهم سماتها السكون والاحتراز وأخذ الحيطة، والإنحناء قليلاً حتى تنتهي العاصفة. وعكس ذلك هو الكبر والاستعلاء الفارغ بغير أدوات. والنتيجة هي قتل وهلكة الفئة المؤمنة ..... فاعتبروا يا أهل الإيمان وخذوا الدرس.... احترموا التاريخ... عيشوا الواقع... لا تطلبوا المستحيل، سنن الله غلابة.

الآية هي نصيحة الي الضعفاء والذين لا يملكون أدوات القوة والتأثير، أن يخفضوا أصواتهم ولا يظهروا أمام عدوهم، لحين الاستعداد وامتلاك القوة وأسباب النجاة والفلاح.....

إذاً لزوم الكهف عند الضعف..... دليل بصيرة.

نعيد مرة أخري ونقول إن شعار مرحلة الضعف كان (وليتلطف ولا يشعرن بكم أحدا) يعني لا تجعلوا أحدا" يشعر بكم ولا ترفعوا أصواتكم، وعيشوا واقضوا حوائجكم بغير أن يلتفت إليكم أحد ..... وذلك لأنهم لو علموا من أنتم وأين مكانكم (يرجموكم أو يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا اذاً أبدا)، والنتيجة القضاء على الرسالة الي الأبد .....

أسباب كونية تحتاج الي فهم وتطبيق، لحفظ الدماء والدعوات في مراحل الضعف ... مخالفتها تودي بالأنفس وتقضي على الدعوة.....اعلموا انه لا محاباة في سُنَن الله (قل هو من عند أنفسكم).

إن المرحلة التي تفصل بين الضعف والتمكين هي مرحلة فكرية خالصة عنوانها التخصص العلمي، ثم الحوار. العلم والحوار هو المطلوب فقط في هذه المرحلة، وما دون ذلك تضييع للأوقات وحرث في الماء واستعجال للتمكين والنصر ليس في محله.

وهذا هو عنوان المرحلتين القادمتين في سورة الكهف، قصة صاحب الجنتين وقصة موسى مع العبد الصالح.

(وكذلك أعثرنا عليهم) آية 21

نام أهل الكهف ثلاثة قرون لكنهم حين استيقظوا لم يجدوا أصدقاءهم ولا أعداءهم، ولا إخوتهم ولا زوجاتهم ولا أبناءهم، ولا مجتمعهم ولا متاعبهم، ولا أبواب جهادهم .

لقد ناموا بالأمس على هدف عظيم، واستيقظوا ليجدوا الهدف قد تحقق، والأعداء قد ذهبوا وذهب معهم الأهل والأولاد والزوجات والأحباب .

فما جدوى العيش وما لذة الحياة حينئذ ؟!!

ما قيمة الدنيا بغير أحبابك ومجتمعك وأهدافك، أو حتى خصومك وأعدائك ومتاعبك ؟!!

فلا المكان مكانهم ولا الزمان زمانهم، ولا الدنيا أصبحت دنياهم، فما قيمة الاستمرار ؟!!

لقد أصبحوا غرباء ... ماتوا فى صمت فلم يكونوا حريصين عليها ولم يعد هناك من هو حريص عليهم،

لم تبك عليهم أم ولا أب ولا أخ ولا زوجة ولا أولاد،

ماتوا بمجرد ما بلغت آيتهم ووصلت رسالتهم للناس..... وهذه غاية كل دعوة وكل رسالة، فأهلاً بالموت !!

💥 ثم فى نهاية هذه القصة، وقبل أن يدخل القرآن فى القصة التى تليها، بين الدروس وأصدر حكمه:

- واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم..... الصحبة الصالحة.
- وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون..... الهجرة وقت الفتنة.
- إنا أعتدنا للظالمين نارا..... عاقبة الظالمين النار.
- إنا لا نُضيع أجرَ من أحسن عملا..... ثواب الصالحين.

إذن فتنة الدين: لابد أن تلوذ بالصحبة الصالحة، والهجرة إلى مكان آمن لا تخاف فيه علي دينك وعقيدتك، واعلم أن الله لن يضيعك. وهو للظالمين بالمرصاد.

****

قصة أصحاب الكهف: دروس وعِبَر:

1- القوة في الدين والعمل له: إنهم فتية/ قاموا فقالوا.....

2- هم على عين الله من البداية: وزدناهم هدي.....

3- التثبيت من الله: وربطنا على قلوبهم.....

4- الصحبة الصالحة من منجيات الفتن: صيغة الجمع (إنهم فتية آمنوا بربهم/ واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم

5- الصحبة الصالحة فريضة: ولا تعدوا عيناك عنهم.....

6- جواز العزلة زمن الفتنة: إذا أوي الفتيةُ إلي الكهف/ وإذِ اعتزلتموهم.....

7- ضرورة الهجرة حال لخوف على الدين: فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته .

8- طلب الرشد فى الأمور كلها: وهيئ لنا من أمرنا رَشدا/ ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشدا/ تعلمنى مما عُلمت رُشدا .....

9- الجدال بالتي هي أحسن: لولا يأتون عليهم بسلطان...

10- آيات ومعجزات فى طريق الهجرة إلي الله: ذلك من آيات الله.....

11- حفظ الله لأصحاب الرسالات في الطريق: ينشر لكم ربكم من رحمته..

12- الحلال والجمال في طلب الحاجات : فلينظر أيها أزكي طعاماً فليأتكم برزق منه.....

13- شعار مرحلة الضعف: وليتلطف ولا يُشعِرَن بكم أحدا.....

14- الحذر ومعرفة الخصم: إنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم فى ملتهم.

15- لا تسأل عن شئ لا يتبعه عمل: ربكم أعلم بهم.....

16- سلم الأمر لله وخذ بالأسباب: ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله.....

17- كتاب الله هو العاصم: واتل ما أوحي إليك من ربك...

18- تبيين الحق والدعوة إليه فرض إلهي: إذ قاموا فقالوا ربنا ../ وقل الحق من ربكم....

19- عاقبة الظالمين: إنا أعتدنا للظالمين نارا.....

20- عاقبة الصالحين: إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا.....

2- القصة الثانية: هي قصة صاحب الجنتين

وكان شعار المرحلة فيها (وهو يحاوره)، وكأنها رسالة لأهل مرحلة الضعف السابقة، أن الحوار وتكثيف الأنصار وتغيير وعي الناس هو أول خطوات الاستعداد للخروج من مرحلة الضعف. الحوار حتى مع الكافر،

وأما الإغلاق على الفكرة والأنصار فخطره كبير، وأي فكرة تحتاج الي ظهير جماهيري واعي، وأمة تحميها وأنصار يشايعونها، بل ودولة تتبناها، وكلما كثر أهل الحق زادت قوته، والحوار مع صاحب الجنتين الكافر خير مثال، ولتكن أيها الداعية على حذر من كثرةٍ في أعداءك، وضعفٍ فى أنصارك.

قصة أصحاب الكهف، وقصة المؤمن صديق صاحب الجنتين، الاثنان استعليا على الفتنة، وواجهوا أصحابها بالحجة، فالفتية قالوا " هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه ألهه لولا يأتون عليهم بسلطان بين فمن أظلم ممن افتري علي الله كذباً)، والرجل المؤمن قال لصاحب الجنتين المتكبر والمغرور بالمال، قال له وهو يحاوره (أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا)،

إذن متي يتخلص أصحاب الحق من الهزيمة النفسية أمام الباطل ويتحلون بالعلم والمنطق، فإن العاقبة في النهاية للمتقيين. إنها سورة الكهف، نعم إنها قصة الاستعداد للفتن والنجاة منها. ثم فى نهاية هذه القصة وقبل أن يدخل القرآن فى القصة التى تليها، أصدر حكمه:

- الباقيات الصالحات >>>>>>> خيرٌ عند ربك ثواباً وخيرٌ أملا.....
- وتلك القرى أهلكناهم>>>>>>> لما ظلموا.....

****

قصة صاحب الجنتين في دروس وعِبَر:

1- احذر فتنة المال والولد: جعلنا لأحدهما جنتين.....أنا أكثر منك مالاً وولدا

2- الغرور أسرع طريق للهلاك: أوله (أنا أكثر...) وآخره (وما أظن الساعة قائمة)

3- الدعوة إلي التوحيد أولاً: أكفرت بالذي خلقك .....

4- الحوار هو جسر العبور إلى النفوس: وهو يحاوره...../ وهو يحاوره.....

5- ذكرُ الله يحفظ النعمة: فلولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله .....

6- الثقة بعون الله للدعاة: لكنا هو الله ربي.....

7- المجادلة بالتي هي أحسن: وهو يحاوره/ إن ترني أنا أقل منك مالاً وولدا، فعسي ربي .....

8- الإيمان بالله والآخرة من منجيات فتنة المال والولد: قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله.....

9- البشارة والنذارة جناحان فى المحاججة: ويرسل عليها حسباناً من السماء فتصبح صعيداً زلقا...

10- قدرة الله لا ترد: وأحيط بثمره.....

11- أوقاتٌ لا ينفع فيها الندم: وهى خاوية علي عروشها، ويقول يا ليتنى لم أشرك بربى أحدا

12- طبيعة الحياة الدنيا: هشيماً تذروه الرياح.....

13- ستقابله وحدك: كما خلقناكم أول مرة.....

14- كتابٌ يُحصي عليك: ما لِهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها.....

15- إياك والشيطان فإنه عدوك فى المال والولد: بئس للظالمين بدلا.....

16- احذر خاتمة الظلم: وتلك القري أهلكناهم لما ظلموا.....

****

3- القصة الثالثة: موسى مع العبد الصالح

(فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا (65) قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا (آية 66)

وأما عن العلم ، فهو زينة الحوار ورايته المرفوعة،

فالعلم هو الذي يجعلك عزيز وقوي وصاحب رسالة .....

والعلم هو الذي نجهز به طعامنا ودواءنا وسلاحنا،

والعلم هو الذي يجعلك تعطى ولا تأخذ، وهو الذي يجعلك صاحب اليد العليا، وتستغني به عن الأعداء

والعلم هو الجسر الذي نعبر عليه من الضعف الى القوة،

ولا فرق شرعاً بين علوم القرآن المكتوب وعلوم الحياة.... لأن علوم الحياة هي القرآن المنظور

وكذلك لا فرق بين علم الحديث وعلم بناء المصانع وعلم زراعة الأرض!

بغير العلم سنظل عبيداً وتظل الأمة خاضعة لأسيادهم الكفار، وتضيع خلافة الأرض، فهى لا تملك حتى ما تأكله أو تلبسه، وبغير العلم، لاتزال المسافة بين ضعفها ونصرها، كما هي بين الكهف ودولة ذي القرنين....فليُعلم هذا !....

****

وهل كان الرجل الصالح يُعَلم موسى علوم الزهد، أم علوم الحياة ؟!!

حين تسمع أن نبياً سيقابل رجلاً صالحاً ليتعلم منه، يتبادر إلى ذهنك فوراً جلسة مسجد وصومعة عابد ونصائح في الصلاة والقيام والزهد ... لكن الرجل الصالح لم يكن مقيماً بالمسجد ولا الصومعة، ولم يعلم موسى كيف يطيل القيام

ولم يكن العلم الذي يحمله آيات التوراة .. لقد كان يعلمه علوم الحياة وجولات الحياة وإصلاح الدنيا ومدافعة الباطل ومناورة الفاسدين والظالمين أو بالأحرى علوم سياسة الحياة والخلافة في الأرض!.

حين لا يكون قادراً على مجابهة الملك الفاسد الذي يأخذ كل سفينة غصباً، لكنه مع ذلك ينجو بالسفينة فتلك علوم سياسة.

وحين يقطع جذور الفساد والكفر والطغيان إن كان قادراً عليها قبل أن تنمو وتكبر وتترعرع ويصعب اقتلاعها بقتل الفتى الذي أخبره الله بفساده وانحرافه واستحقاقه للقتل، درءاً للمفاسد العظيمة القادمة على يديه،

واستشرافاً لفرصة جديدة لولد صالح يملأ مكانه. فتلك علوم وأولويات المصلحين.

وحين يصلح ما فسد من عمران وإن لم يتلق على ذلك أجراً وإن لم يعرف أصحاب الجدار أهميته الآن، وإن تلقى بعض اللوم من المحيطين. وحين تكون ثروات الأجيال القادمة والحفاظ عليها ضمن أولويات العالم واهتماماته، فتلك علوم سياسية وأولويات المصلحين على مر الزمان.

ومن قال إن إصلاح الجدار بدون مقابل كان مجرد دروشة من الخضر ؟!!

ومن قال إن فعل الخير قلة عقل تستحق الندم ؟، حتى وإن كانت فى مجتمع لا يستحق ؟!

ومن قال إن قاعدة الخدمة مقابل الأجر المادي فقط ؟ تنطبق على المصلحين أصحاب الأهداف السامية والنظرة المستقبلية ؟! ولو كان الأمر كذلك فما الفرق بين المصلحين، أصحاب الدعوات، وبين التجار ورجال الأعمال، وأهل السياسة من أجل السياسة ؟! وكيف ستتغير المجتمعات إذن وقد ذهب المعروف بين الناس ؟! وكيف سيخرج من أصلاب الجاحدين أجيال أخرى من الصالحين، ومن أصلاب الكافرين من يوحد الله ؟!

ولقد كانت مدعاة الفراق ونهاية الحكاية بين موسى النبي، وبين أعلم أهل زمانه، ليتعلم الدرس جيداً ويفهم الفرق جيداً ويصبر على ما يلاقى، بعين الزارع الذى يزرع وينتظر الحصاد وإن تأخر، وعين المصلح وعين القائد وعين النبى.

إذن لم يكن الرجل الصالح مجرد درويش، جالس في معبده يتعبد، فنال تلك المنزلة وهذه المكانة ليكون معلماً لنبي من أولى العزم من الرسل، وإنما كان مصلحا كبيراً وسياسياً قديراً، وحين تلقى موسى على يديه تلك الدورة، كانت دورة في الرشد والإصلاح وتلك أسمى مهمة وأعظم رسالة .

(فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض فأقامه قال لو شئت لاتخذت عليه أجرا . قال هذا فراق بينى وبينك ...)

****

(وما فعلته عن أمري، ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا) آية 82

لم يكن العبد الصالح يريد أن يعلم موسى خرق السفن ولا قتل الغلمان ولا بناء الجدران .

إنما كان يريد أن يعلمه الصبر، ويعلمه أنه قد يكمن الخير فيما تراه شراً، والشر فيما تراه خيراً.

لم يكن العبد الصالح سوى القضاء والقدر في صورة بشر.

لا نفهم القضاء أحياناً ، يستنكر بعضنا ما يقع أحياناً. ... نتساءل كثيراً ولا نطيق صبراً أحياناً،

ثم يظهر فيما بعد أنه خيرٌ دائماً .... إنه القدر الرحيم .... فيه الخير وإن كنا لا نراه.

وإن لم يُعجِب البعض .....

وإن تعجّب كذلك منه المؤمنون وتبرم الساخطون.

غزة العزة .... مثالاً لقدر الله القاهر والمخبوء:

لمن يسأل: أينَ الله؟ ولماذا لا ينتقمُ لغزَّة ؟! روى مسلمٌ، وأحمدُ، والنّسائيُّ، وأبو داود، من حديث أبي هريرة:

أنَّ النبيَّ ﷺ جاءَه ناسٌ من أصحابه فقالوا : يا رسولَ اللهِ، نجدُ في أنفسِنا الشيءَ نُعَظِّمُ أن نتكلَّمَ به، ما نحبُّ أنَّ لنا الدُّنيا وأنَّا تكلمْنا به!

فقال لهم النَّبيُّ ﷺ: أوَ قَدْ وجدتموه؟

قالوا: نعم!

فقال لهم النّبيُّ ﷺ: ذاك صريحُ الإيمانِ!

الأزماتُ والفِتنُ ملعبُ الشّيطان، وفُرصتُه السّانحة ليُفسدَ على المُؤمنِ إيمانه، ويعبثُ بمقامِ اللهِ في قلبه، ونحن بشرٌ نهاية المطاف، تخفى علينا حكمة الله جلَّ في علاه في بعض الأمور، وليس لنا من الأمر إلا ما نُشاهده، وتدور في العقل أسئلة، يخاف المرءُ أن يتحدّث بها، ويدفعها بالاستغفار، وهذا ليس من نواقض الإيمان، بل من كماله، فكلما غابتْ عنكَ الحكمة فسلِّمِ الأمرَ لصاحب الأمر، هو أعدل وأرحم من أن يُراجع في قضائه، أو أن يُسأل عمّا قدَّره في ملكه، وكُلنَّا عبيدٌ في مُلكه!

سيقولُ لكَ الشيطانُ: أين اللهُ عمّا يجري في غزّة، ألا يغضبُ للأطفال يُنتشلون أشلاءً من تحت الأنقاض؟

ألا ينتقمُ للنساء تُبعثر الصواريخ أجسادهُنَّ؟

ما ذنبُ العجائز أن يُقتلنَ، وما ذنبُ الشُّيوخ أن يُسْحلنَ؟

أليس الله قادراً على أن يُعطّل الطائرات، ويُلجمَ المدافع؟

أوّلاً: هذه الدُّنيا دار امتحانٍ لا دار جزاء، واللهُ هو الذي يسألُ عبده عمّا فعلَ فيما امتحنه به، لا العبدُ هو الذي يسألُ ربّه: لِمَ امتحنتني في هذا؟ فلنتأدّبْ!

ثانياً: إنَّ الأشياء تُؤخذُ بمحصّلتها النهائية وليس بظرفها الحالي، فلو شهدتَ فرعون يُلقي أبناء الماشطة في الزيت المغلي حتى تطفو عظامهم، ثم يُلقيها معهم حتى تطفو عظامها أيضاً، لسألتَ سُؤال العبد المُتلهّف للانتقام: أين الله؟ ما ذنبُ الأطفال أن يُقتلوا بهذه البشاعة؟ ولمَ لا يدفعُ عن هذه المسكينة؟

ثم ما الذي حدثَ بعدها؟ فرعون أطبقَ الله تعالى عليه البحر وهو خالدٌ مُخلّد في النّار، والماشطة وأولادها شمَّ النبيُّ ﷺ ريحهم في الجنة ليلة المعراج!

ثالثاً: إنَّ الله سبحانه يُملي للظالم ثم يأخذه أخذ عزيز مقتدر، ولكن من قال لكَ أن كلّ الظلم موعده الدُّنيا، فلمَ كان يومُ القيامة إذاً، ولأيّ شيءٍ كان السراط والميزان والحساب، ولأيّ شيءٍ خُلقتِ الجنّة والنّار!

مؤمنون الأخدود أُحرقوا جميعاً في الدُّنيا، وأنطقَ اللهُ تعالى الرّضيع ليقول لأمه: اثبتي فإنّكِ على الحق! فخاضت غمار النّار!

ولم يُحدّثنا اللهُ تعالى أنه انتقمَ لهم في الدُّنيا، ولكنّه سيفعلُ هذا يوم القيامة !

المعاركُ ليست بنتائجها الظّاهرة، فإن ربحتَ كلّ الصراعات ثمّ أُلقيتَ في النّار فإنّك خاسر، وإن سُحقتَ وأُحرقتَ وأنتَ على الحقّ، ثم دخلت الجنة، فأنتَ فائز!

رابعاً: لو أنفذَ اللهُ تعالى انتقامه عند كلّ ظلمٍ لانتفى مبدأ الامتحان في الدُّنيا من أساسه!

ولو ربحَ الحقُّ كلّ جولةٍ في صراعه مع الباطل لامتلأتْ صفوفه بعُبَّاد النّتائج! والمنافقين !

ولكنَّ الله تعالى أراد هذه الدُّنيا زلزالاً للقلوب، وصاعقةً للمبادىء!

فإنْ لم يكُنْ عدوانٌ وإجرامٌ فكيفَ سيُمتحنُ العبادُ بفريضة الجهاد، ثمّ ينقسمون إلى مجاهدين ومتخلّفين، وإلى مُناصرين ومُخذّلين، وإلى مُنفقين في سبيل اللهِ وباخلين في سبيل الشّيطان!

خامساً: إنَّ مخاضَ امرأة واحدة يصحبه طلقٌ وألم ودم، هذا والميلاد طفل! فكيف بمخاض أُمّة كاملة، والميلاد اليوم ميلاد عزٍّ ودولة!

إنّكَ لو كنتَ في قريشٍ حين أوتدَ أبو جهلٍ لسُميّة في الأرض وربطها ثمّ أنفذَ فيها حربتَه لقلتَ كما تقول الآن: أين الله؟.....وإني أسألكُ : فأين سُميّة الآن وأين أبو جهل؟!

وإنكَ وقتذاك لو رأيتَ بلالاً على رمضاء مكّة والصخرة على صدره، وأميّة بن خلفٍ يطلبُ يأمره أن يذكر اللاتَ وهُبل، وهو يُردِّدُ بما بقي فيه من نفسٍ: أحدٌ، أحد!

لقلتَ : أين الله الأحد؟!.....وإني أسألكَ الآن: فأين بلالٌ الآن وأين أُميّة!

ثمَّ وإن كنتَ لا ترى من النّصر إلا ما يكون في الدُّنيا، فأنتَ وقتذاك ما كنتَ تحسبُ أن نصراً سيأتي! ولكنك تعلمُ الآن أنّ مكّة قد فُتحت، دخلها الذين كانوا يُعذّبون فيها من أبوابها الأربعة في وضح النّهار!

إنَّ للرّب الحكيم توقيته في الحوادث، فإن فهمتَ فالزَمْ، وإن لم تفهَمْ فسلِّمْ! .(أدهم الشرقاوى بتصرف)

****

مرة أخري...الظاهر والباطن في سورة الكهف

لماذا سنّ النبي ﷺ قراءة سورة الكهف كل جمعة ؟ .. سؤال توقف عنده الكثيرون .. سؤال يمثل دعوة مفتوحة للتأمل والاستكشاف أسبوعياً في هذ السورة العظيمة، ففي كل أسبوع تقرأ فيه السورة، يتفتح عقلك ويُصغي قلبك للرسائل التي تتوالى في كل مرة..

في يوم الجمعة وأثناء قراءة السورة نجد إشارات متوالية لنفتح عيوننا وقلوبنا وعقولنا للبحث فيما وراء الظاهر.. وأن تستيقظ حواسنا لتعرف الفرق بين الصورة والحقيقة .. الظاهر والباطن .. ما تراه عيوننا .. وما يجب أن تراه عقولنا وقلوبنا .. الكثير من آيات السورة تعرض ما تراه العيون .. ثم تكشف الجوهر والحقيقة.

- يبدأ الأمر بملاحظة كلمة "الزينة" .. (إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا) .. كل ما على الأرض نراه "زينة" أما حقيقته فقد يكون "ابتلاء وميدان سباق" لنبلوهم أيهم أحسن عملا ..

وتتكرر كلمة الزينة في موضعين آخرين .. عندما يحذر السياق النبي ﷺ من إهمال الصالحين الصادقين (وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) .. أما الغافلون الفارغون فأمرهم هباء ضائع متناثر .. (وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا) .. ثم (الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا) .. المال والبنون تبهر العيون الغافلة .. أما الخير كله .. والأمل كله .. والثواب كله .. يكمن في تسبيحات سهلة بسيطة (سبحان الله .. والحمد لله .. ولا إله إلا الله .. والله أكبر) ثم العمل الصالح بشموله وكماله..

- (وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ) .. يراهم الناظر مستيقظين لكن الحقيقة أنهم (رقود)..

- (قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ) .. هذا ما يبدو لأبطال المعجزة أنفسهم .. أما الحقيقة .. (وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا)..

- (وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ) .. يبدو ماءاً .. لكنه الْمُهْل الذي يشوي..

- (وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ). فالجبال الراسية الراسخة تسير وتتحرك، في يومٍ يصبح فيه الباطنُ ظاهراً للعيون

- (أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ)، فالأولياء الأعزاء في نظرك، هم في الحقيقة العدو..

- (قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ) .. ظن الفتى أن الحوت قد أفلت .. ولم يعرف أنها العلامة المرتقبة .. وأنها كانت ما يترقبه نبي الله موسى عليه السلام..

– قال العبد الصالح الخبير بالنفوس (إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا) .. وأعطاه قراءته وتفسيره لما سيحدث منه في مسيره معه بعد ذلك: (وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا) .. وجاء الرد من سيدنا موسى عليه السلام: (سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا) .. وهكذا يظن الإنسان بنفسه القدرة على التحمل .. وإن كان قد قدم المشيئة الإلهية، تحوطاً لما قد ينشأ من أمور لا يقدر عليها..

– وعندما اعترض على خرق السفينة (أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا) .. لم يعرف مدى الفضل في ذلك الخرق الذي يحفظ كامل السفينة من ذلك الطاغية السارق (وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا)..

– واستنكر قتل الغلام (أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً) .. ولم يعرف أن إرادة الله تريد خيرا به وبأبويه (فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ)..

– واعترض على بناء الجدار مجاناً في قرية أجمع أهلها على البخل الشديد قائلاً (لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا) .. لم يكن يعرف أن الجدار يخفي عن هؤلاء الأشحّاء كنزاً غالياً (وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا)..

– (الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا) .. فالسعي الضال تراه عقولهم المريضة إحساناً وإنجازا..

– (فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا) .. انتفخت النفوس وتعاظمت أعمالها .. أما الحقيقة فإنهم هم أنفسهم لا وزن لهم عند الله.

وهكذا.. رحلة أسبوعية مع سورة الكهف تجلو الرؤية .. وتفتح العيون .. وتضبط الموازين .. وتكشف الغث من السمين .. وتعيد مقاييس الحق والباطل كما يجب أن تكون فى كل زمن ومنها زمن الفتن والبلاءات.

💥 ثم فى نهاية هذه القصة وقبل أن يدخل القرآن فى القصة التى تليها، أصدر حكمه:

– إنه القدَر الحكيم الرحيم: وما فعلته عن أمري .....

ولعل فى قصة موسى مع الخضر، إرجاع موسي إلى تاريخ قديم، ليعلم نعمة الله عليه منذ ولادته:

- **البحر وخرق السفينة:** ليتذكر موسى نعمة الله عندما ألقى فى اليم بلا حيلة منه ولا قدرة، فأمر الله البحر ليحفظه، ويوصله إلى الأمان فى قصر فرعون، وهذ قدر مخبوء ونعمة أنعمها الله عليه.
- **قتل الغلام:** ولعل ذلك ليتذكر موسى أنه قتل القبطى فأنعم الله عليه وحفظه وأخرجه سالماً من القرية وأوصله إلى قرية شعيب حيث الأمان والزوجة والحياة المطمئنة، وهذ قدر مخبوء ونعمة أنعمها الله عليه
- **إصلاح الجدار وحفظ حق اليتيمين:** حيث ساعد بنتى شعيب وسقى لهما فكانت المكافأة زواج أحدهما.

وهكذا ليعلم موسى ومن خلفه من البشر، أن وراء كل حدث ربٌ يدبر، فسلِم الأمر له ولا تستعجل ولا تتكبر، فربُ الخير لا يأتى منه إلى عباده إلا الخير. .... وهذا عنوان آخر للقصة: ضرورة العلم، وعقيدة الصبر والرضا

قصة موسى مع العبد الصالح: في دروس وعِبَر:

1- فوق كل ذي علمٍ عليم: علمناه من لدنا علما.....
2- الإيجابية المطلقة وبذل الجهد: لن أبرح حتى .....
3- آية علمية: مجمع البحرين.....
4- الحوار السديد وطلب العلم الرشيد: هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رُشدا.....
5- الاستئذان وأدب طالب العلم: هل أتبعك.....
6- فقه المُعلِم في التعريف والتوضيح: قال إنك لن تستطيع معى / وكيف تصبر على ما لم تحط به.
7- ضرورة الصبر على العلم: وكيف تصبر على ما لم تحط به خُبرا.....
8- المؤمن عند شرطه: ألم أقل لك إنك لن تستطيع .....
9- موسي وواجب النصح عند الخطأ: لقد جئت شيئا نكرا../ شيئاً إمرا.....
10- التخطيط المستقبلي: وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصباً.....
11- صلاح الوالدين ينفع الذرية: وكان أبوهما صالحاً.....
12- إنه القدَر الحكيم الرحيم: وما فعلته عن أمري.....

4- القصة الرابعة: الملك الصالح- ذو القرنين

الاسم (**ذو القرنين**) يصيبني بالرهبة حيث التصاوير التخيلية للشيطان الأكبر، والشياطين كلهم في ثقافتنا القديمة تُرسَم بقرنين، لكنني لما بدأت التفاعل مع القرآن بجدية التدبر، رأيت ذا القرنين اسطورة إنسانية نادرة ، إن الله يسأله عن اختيار فعله إزاء القوم الذين لقيهم عند مغرب الشمس :(قلنا ياذا القرنين إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسنا)، فأجاب الإجابة التي تنتظرها بفطرتك السوية العادلة، وكأن هذا ما يحب الرب أن يسمعه من عبده المصطفى، والذي آتاه من كل شيء سبباً فأجاب (أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يُرد إلى ربه فيعذبه عذاباً نُكرا ، وأما من آمن وعمل صالحاً فله جزاءً الحسنى وسنقول له من أمرنا يسرا) ، وبذلك تجد نفسك من خلال السؤال وإجابته واقفاً أمام صراط ربك المستقيم، فالسائرون عليه عادلون منصفون منطقيون راحمون ميسرون، ولو امتلكوا آليات الاستكبار والقهر، هذا من جهة العبيد، ومن جهة ربهم فهو رب يرضى بالعدل والنصفة، ويحض عباده على طلب التمكين، ومتابعة هؤلاء الصالحين .

وقد كانت هناك صورة على الجانب الأخر للذين يفسدون فى الأرض وهم **يأجوج ومأجوج**، فكانت المقارنة بين الإفساد والإصلاح عنواناً آخر لقصة الملك الصالح.

(قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون فى الأرض فهل نجعل لك خرجاً على أن تجعل بيننا وبينهم سدا. قال ما مكنى فيه ربى خيرٌ فأعينونى بقوةٍ أجعل بينكم وبينهم ردما ....) آية 94

هل تستطيع أن تتصور حجم الصناعات التي أفرزتها إرادة بناء السد [الردم] أمام الإفساد. صناعة استخراج الحديد وتصنيعه كقضبان، وصناعة توليد حرارة رهيبة لاتقل عن ثلاثة آلاف درجة لصهر الحديد وإلانته، ثم صناعة القِطر،

وتسييله وغمر الحديد بكميته الخيالية، ولابد ونحن نتدبر القرآن، أن تتصور مدى تناسب حجم السد أمام حجم المفسدين، فهذا السد المطلوب إقامته، أمام جحافل يأجوج ومأجوج كان حتماً لابد أن يكون ضخماً محكماً شاهقاً لا يستطيعون ظهوره أو خرقه. وتلك هي سبيكة الحديد مع النحاس، كما أشار العلم الحديث.

ثم تجد مسئوليتك أنت عن بقاء هذا السد سليماً يؤدي دوره، بعد أن كلفك حبيبنا محمد ﷺ بقراء سورة الكهف يوم الجمعة، وكأني بالنبي يضُمُنا إلى المشاركين في صناعة السد، أمام الفساد لمواجهة تربوية تؤهلك للمواجهة العملية، وبذلك فأنت من باب أولى لابد أن تكون بذاتك سداً أمام أي فساد أو مفسدين.

لقد رأيتُ ذا القرنين مدافعاً عني وعن ذريتي ومستقبل أمتي، وهو يقيم السد أمام جحافل يأجوج ومأجوج الهمجية المجرمة، فهل تدافع أنت عن هذه الرسالة وعنه أمام جحافل المُنكرين لمصداقية الأخبار المحذرة من شرور الساعة في السنة المطهرة، حتى امتدت حملات إنكارهم إلحاداً وجحوداً، بإنكار كل السنة اليوم تمهيداً للاستدارة على هذه السياقات القرآنية غداً، والتي تعلمنا كيف نواجه مصائب الساعة وعلاماتها، فمن يحذرنا إذا لم تكن أنت؟

ولم يكن مقبولا لدى **ذي القرنين** أن يبقى من نسميهم نحن حزب الكنبة لا يفعلون شيئا بينما هو وجيشه يتصدون وحدهم ليأجوج ومأجوج نيابة عنهم، فمحاربة الفاسدين والخلاص منهم لن تتم إلا باتحاد الجميع، وأولهم من يقع عليهم الظلم والفساد. وهذا إشعار للأمة كلها أن نستفيد من كل واحد فيها، نعم هناك الصف الأول الذى يخطط ويقود، لكن من ورائه أمة كاملة تحمل الهم وتشارك بفاعلية فى الإصلاح ومدافعة الفاسدين.

💥 ثم في نهاية هذه القصة وفى نهاية السورة أصدر ربنا حكمه:

(فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا) (110)

****

قصة ذي القرنين – وعشرون صفة للقيادة الناجحة:

1- طلب التمكين وامتلاك أدواته من الله فقط: إنا مكنا له...

2- العلم شرط التمكين: معرفة اللغات المختلفة/ علم بناء السدود/ صناعة سبيكة الحديد والنحاس....

3- تنمية الذات والبحث عن أسباب جديدة: فأتبع سببا.....

4- الحاكم العادل: أما من ظلم فسوف نعذبه.....

5- المرجعية الربانية: ثم يرد إلى ربه.....

6- التحفيز من صفات القيادة: فله جزاءً الحسني..... وسنقول له من أمرنا يسرا

7- دوام الحركة والفتوحات ونشر الدعوة: حتى إذا بلغ .....

8- عمارة الأرض: بلغ مغرب الشمس / بلغ مطلع الشمس/ بلغ بين السدين.....

9- الشورى حق للجميع: قالوا ياذا القرنين.....

10- عفة وأمانة القائد: مامكني فيه ربي خير....

11- الإحساس بالمسئولية وإتقان العمل: فما اسطاعوا أن يظهره وما استطاعوا له نقبا...

12- نصرة المظلوم: الردم (ليس سداً فقط، والردم أعمق في الأرض من مجرد السد).....

13- التوظيف الأمثل للأفراد: فأعينوني .....

14- وضوح التعليمات والأوامر: انفخوا / آتونى زُبَر الحديد/ آتونى أُفرغ عليه قطرا.....

15- العمل الجماعى: فأعينوني / انفخوا / آتونى.....

16- إستغلال الموارد المتاحة: الحديد.. والنحاس (وليس اهدار الوقت في البحث عن موارد أخرى)

17- دعوة إلى القوة فى الإصلاح: فأعينونى بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما.....

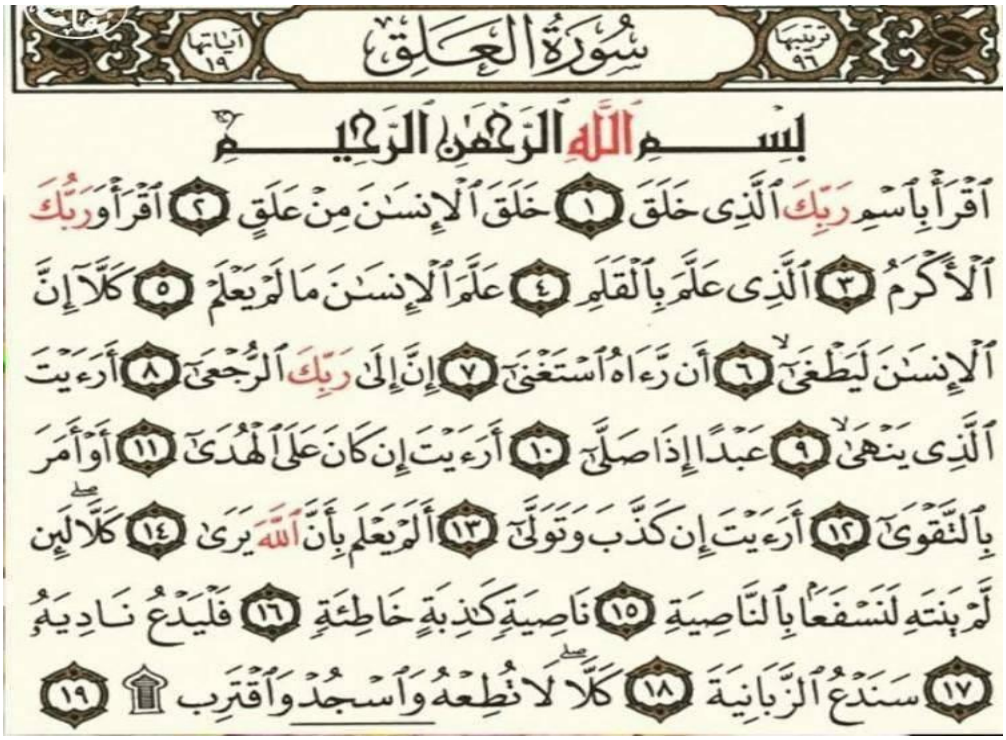
18- الإبداع في العمل: خلط الحديد والنحاس./ وبناء الردم (وليس السد فقط).....

19- الاعتراف بنعم الله: ما مكني فيه ربى خير .....

20- عدم الغرور والتواضع: قال هذا رحمة من ربى.....

****

سورة العلق: وكأنى أقرؤها لأول مرة



كان النبى ﷺ يذهب إلى غار حراء بين الحين والحين، يخلو بنفسه بعيدا عن لغط الجاهلية ويرسل النظر عميقا فى آفاق الكون مستشعراً اليقين والخشوع أمام مبدع وخالق هذا الملكوت.

إنه يزدرى الأصنام وعبادتها، ويكره ما قام فى ظلها من مراسم وتقاليد، ولكنه لا يدرى أكثر من هذا!! حتى جاءت أعظم لحظة في تاريخ الإنسانية إلى يوم القيامة!! جاء فجأه صوت غريب " *اقرأ*... " قال ما أنا بقارئ! وتكرر الصوت والرد. ثم استمع إلى تمام الأمر " ***اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم، الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم*** " .

هذه **<u>الآيات الخمس</u>** هى أول ما نزل على قلب الرسول ﷺ من قرآن. فكانت في وقت من الأوقات هي كل القرآن. تُنبه بأن الله وحده هو الذي خلق وهو الذى علم الإنسان ما لم يعلم، وهو الذى أنعم وإليه الرجعى فى الأمر كله.

هكذا كانت البداية وهى التعريف بالخالق– الذى لا شريك له، ليهتدى من ضل، وهل يدّعى أحدٌ غير الله أنه خلق، إذن فانتظر أيها الإنسان ماذا يريد منك الخالق العظيم لتؤمن به وتحمل رسالته، لأنه صاحب الخَلق ومنه الأمر كذلك. ولتعلم أيها الرسول وأيها الإنسان الذى تتعرف على خالقك لأول مرة، أن كمال معرفتك بربك وحقه عليك، أن تتعلق به كما تتعلق العلقةُ بجدار الرحم.

وأيضاً فى الآيات كان الإخبار بالقلم الذى هو أداة العلم فى المستقبل، والعلم أقوى طريق لتتعرف به علي الله سبحانه. وهذا إخبار بغيب فى أمةِ أميةٍ لا تعرف القراءة والكتابة آنذاك.

وبعد فترة من الرسالة نزلت الآيات "***كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى***". سبحان الله بعد هذه الحقائق والنعم !

وعلى هذا دارت المعركة بين محمد ﷺ وخصومه بضعة عشر عاماً فى مكة بعد نزول الرسالة عليه.. وستبقى دائرة إلى يوم الدين وستنشب المعركة حتما بين فريقين: أحدهما اعترف بحق ربه عليه. والآخر يرى نفسه سيداً، وليس لأحد عليه سلطانُ أو توجيه!!.

" ***إن إلى ربك الرجعى*** " ثم " **كلا لئن لم ينته لنسفعن بالناصية** " السفع هو جذبه من ناصيته فلا يستطيع الإفلات " " ***ناصية كاذبة خاطئة*** " والناصية (هى مقر العلم واتخاذ القرار). فاعلم أن الله سيهلكهم بما طغوا به. واعلم يا محمد، تلك هى طبيعة طريق الرسالة التى تحملها، في العلاقة بين الخالق والمخلوق إلى يوم القيامة، كفر أو إيمان، استسلام أو طغيان.

سورة العلق إذن هى أول ما نزل من القرآن وكانت للتعريف بالرب سبحانه، ولتأسيس الصلة بين العبد وربه كما هى بين العلقة وجدار الرحم، فإذا انفصلت العلقة ماتت على الفور، ثم تمتين العلاقة بالطاعة والسجود المُستَحَق والدائم للخالق العظيم، ثم معرفة طبيعة الطريق، ومعرفة المتكبرين والطغاة الذين يقفون على جانبه ليصدون عن طاعة

الخالق، فتتكامل بداية السورة بتعريف الخالق المصور العظيم، ونهاية السورة بما يجب أن يعترف به المخلوق وهو السجود لعظمته سبحانه ودوام التعلق به وحده (*كلا لا تطعه واسجد واقترب*). ثم تنتهي السورة بناصيتين، ناصية تطغى وتفسد، وناصية تتعلق وتسجد.

💥 إذن هى سورة البناء والتأسيس، والإعداد للمستقبل وكأن منهج الطريق فى ذلك:

1- **التعرف على الخالق أولاً**: بأسمائه وصفاته، والتعلق به وحده.

2- **العلم هو الطريق الموصل:** القراءة والعلم أداة التعرف على الخالق وأوامره ونواهيه. والقراءة الأولى التي أمر الله بها كانت فى الكتاب المنظور "فى الكون والخلق "- ثم بعد ذلك تكون فى الكتاب المسطور"القرآن" الذى يتنزل- وفى الكتاب المنشور بعد ذلك " أحوال الناس وأخلاقهم مع القرآن والرسالة إلى يوم القيامة.

3- **الصبر على لأواء الطريق:** في مدافعة الطغاة والتزام العبادة..... وتلك هي طبيعة الطريق.

****

وإذا نظرت فى القرآن على مدى نزوله 23 عام ، كان تدور رؤيتة واستراتيجيتة حول هذه المحاور الثلاث السابقة. فلتعد الأمة إلى كتاب ربها فى كيفية التأسيس والبناء لتبدأ بما بدأ به القرآن، وبما فعله الأولون بمنهج القرآن، ومن هنا يبدأ العود المأمول، وتعود بوصلة الإنطلاق إلى مكانها الصحيح.

يقول **الشيخ الغزالي**: «إن أهل القرآن خانوه خيانة فاجرة، واتخذوه مهجورًا، في الوقت الذي أنِسوا فيه بباطل من القول، وسخف من الجدل، وغرقوا في غيبوبة عجيبة من المباحث التي ما عرفها السلف الأول، ولو عرفها ما أفلح أبدًا، ولا افتتح قُطرًا، ولا أنشأ حضارة"..... انتهى كلامه.

فهل نفهم كيف تكون البداية والتأسيس ؟!

****

الخاتمة

(**ولقد صرفنا للناسِ فى هذا القرآن من كلِ مثل، وكان الإنسانُ أكثر شيئ جدلا ...**) آية 54 – الكهف

قَصص القرآن وأمثال القرآن وأحكام القرآن ومعجزات القرآن وشريعة القرآن هى لكل جيل. فالقرآن كله يخاطبنا جميعاً.

إن كل الأنبياء بَشر انتصروا فى كثيرٍ من المواقف، وتعثروا فى مواقف أخري.

وكل من كانوا حول الأنبياء، ومن أتى بعدهم كانوا مثلنا بشر،

يعيشون مكر الخصوم وتربص الأعداء وظلم الظالمين، وانتظار النصر عقود وسنين.

إن كل آية تقصدنا نحن، وكل قصة فيها عظة وعبرة لنا نحن، وكل تعقيب فيه درسٌ مستفاد لجيلنا نحن.

فهل نؤمن بالقرآن حقاً، أم نعتبره مجرد حكايات وقصص، حدثت لغيرنا، وهى لنا للترفيه والجدل ؟!

إن آيات الصبر والثبات ليست فقط للأنبياء وأصحابهم.

وآيات الوعد للمؤمنين بالنصر ليست فقط لجيل الصحابة.

وآيات الوعيد والأخذ الشديد ليست فقط لفرعون والنمرود وأمثالهم.

وآيات النار ليست فقط لأبى لهب وزوجته.

والأرض يرثها عبادُ الله الصالحون، فى كل زمان ومكان وليس فقط فى زمان الأنبياء

شيء موجع أن تكون عربيًا لسانًا وجذرًا وأصلًا وفصلًا، وتدرك أن عمرك سينقضي حتمًا قبل أن تكتشف كتاب الله حق الاكتشاف، وشيء مفزع أن تخنقك نقولات المتون وأقوال العلماء (نعم يجب الاستفادة والإسترشاد بها)، لكن لا تذهب بعيدًا عن السباحة في بحر كتاب الله، والغرق عشقًا، حد التلاشي والذوبان، وإن الجمعة كل أسبوع، ورمضان كل عام فرصة ذهبية، للعودة إلى رحاب هدية السماء، وللتفتيش عن الكنز الذي لا يزال مخبوءًا بين ركام الكتب والأوراق.

وشيء عجيب مثير للغضب والارتياب أن ترتكز الأمة في غالب حفظة كتاب الله على سادتنا الأكفّاء (العميان)، وليس هذا انتقاصًا لأصحاب البصيرة المبتلين في الحبيبتين، ولكن استفهام عن أمة تودع أخلص جواهرها لدى معذورين مبتلين بالضعف في الحركة والانتشار، فرغم الشرف السامي وخطورة المهمة حولت الأمة كتابها إلى مجرد "بركة" نُقبلها ونضعها واقعياً على "طابلوه" الحياة.

يقول البروفيسور على **عزت بيجوفيتش** عن القرآن: للأسف المسلمون يقدسون الكتاب، ولا يقدسون المنهج !!!

يقول **د. القرضاوي:** "القرآن هو روح الوجود الإسلامي، وأساس بنيانه، وهو بمثابة الدستور الأصلي، الذي ترجع إليه كل القوانين في الإسلام فهو أبوها وموئلها، والسنة النبوية كذلك هي شارحة هذا الدستور ومفصلته، وما كان للبيان أن يناقض المبيَّن، ولا للفرع أن يعارض الأصل، فالبيان النبوي يدور أبدًا في فلك الكتاب العزيز لا يتخطاه"

وحديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: يا أيها الناس؛ إني قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً، كتاب الله، وسنة نبيه.

وأخيراً: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ الكهف–آية 110

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ،

وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ،

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

د / السيد ابراهيم على سلامة

أستاذ الأطفال – عضو علماء المستقبل

الإميل: ***elsayedsalama5@yahoo.com***

الموقع على الشبكة للحصول على الكتاب و الكتب الأخرى مجاناً:

https://www.noor-book.com/u/Elsayed-Salama-%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%8A%D8%AF-%D8%A7%D8%A8%D8%B1%D8%A7%D9%87%D9%8A%D9%85-%D8%B3%D9%84%D8%A7%D9%85%D9%87/books

https://play.google.com/books/s/846555658020

ملخص السيرة الذاتية

أ. د/ السيد ابراهيم على سلامة

- § أستاذ طب الأطفال (جامعات مصر– جامعات قطر وويل كورنيل – جامعة تبوك بالمملكة السعودية)
- § أستاذ زائر – كلية الطب– جامعة سان دياجو – كاليفورنيا – الولايات المتحدة.
- § دكتوراة في طب الأطفال عام 2001
- § ماجستير في طب الأطفال عام 1989
- § ماجستير في الفارماكولوجي (الأدوية والعلاج والعناية المركزة للأطفال) عام 1992
- § بكالوريوس الطب والجراحة عام 1985
- § عضو الجمعية الأمريكية لأبحاث الكبد فى الأطفال (AASLD) والجمعية الأوربية
- § عضو جمعيات الأطفال فى مصر.
- § مدير مستشفى عنك بالمنطقة الشرقية– السعودية.
- § استشارى الجهاز الهضمى والمناظير فى م. دار الفؤاد ,م. الزهور , م.التأمين الصحى, مستشفيات مصطفى محمود – المهندسين – مصر.
- § الكتب المؤلفة فى الأطفال باللغة العربية: 10 كتاب باللغة العربية
- § الكتب المؤلفة فى الأطفال باللغة الإنجليزية: 4 كتب باللغة الإنجليزية
- § عضو علماء المستقبل – الاتحاد العالمى لعلماء المسلمين
- § عدد كبير من الأسطوانات الممغنطة (CD) وعليها برامج لطب الأطفال.
- § منشور 42 بحث علمى فى طب الأطفال فى المجلات العلمية المصرية والعالمية.. (أمريكا وكندا واليابان وكوريا وتركيا واكرانيا.).....
- § مرشح من قبل الجامعة لجائزة شومان فى الأردن للعلوم الطبية لعام 2005.
- § استشارى الأطفال فى موقع موجة الإلكترونى وغيره من المواقع.
- § مقدم برنامج أحلى طفولة على قناة الصحة والجمال, وضيف على كثير من القنوات الفضائية المصرية والقطرية

كتب للمؤلف

كتب في الإسلاميات والسلوك والتربية:

1- **الأربعون الحَضَارية** (أحاديث مهمة فى صلاح وعودة الأمة)

2- **العَشَرة السابقون والعَشَرة المتساقطون** (أحاديث عقائدية ميسرة)

3- **وكأني أقرؤه لأول مرة** (في تدبر القرآن والعمل به- مكتبة الأسرة العربية- تركيا)

4- **المؤسسة الدعوية الناجحة: أخلاق ومقومات (الجزء الأول والثاني)** (نصيحة رقراقة لتطوير المنهج والأسباب المؤدية إلى نجاح الدعوة والدعاة)

5- **المدخل في تربية الأبناء** (طرق وبداية تربية طفل العقيدة ورجل المستقبل)

6- **الأخوة والصداقة:** بين المنظور والمأمول (عودة بالمعني الصحيح للأخوة)

7- **علمتني سيرة الحبيب: الجزء الأول** (كيف نعيش بسيرة الحبيب عملاً ودعوة وليس قراءة واستمتاعاً بها)

8- **علمتني سيرة الحبيب: الجزء الثاني** (كيف نعيش بسيرة الحبيب عملاً ودعوة وليس قراءة واستمتاعاً بها)

9- **مرحلة تكوين الصادق الأمين** (الكتاب الأول في سلسلة: السيرة مراحل وعبر)

10- **لافتات قرآنية جزءان:** (خواطر موضوعية سريعة لبعض الآيات والتى تدفعنا إلى العمل اليوم)

11- **إذاً لا يضيعنا:** (أهمية الرضا بالقضاء ومن بعده دائماً فرجاً ويسر ، وأمثلة من التاريخ والسيرة)

12-أحداث تاريخية فى السنوات الهجرية.

كتب في طب الأطفال باللغة العربية تم طبعها فى الأسواق المصرية والعربية:

1- الرعاية الصحية للأبناء (دار طيبة للنشر والتوزيع- مصر). كتاب صغير وهو ملخص كتاب (أحلى طفولة)

2- أحلى طفولة (دار راية للنشر والتوزيع- مصر).

3- أنت وطفلك والطبيب (دار بداية للنشر والتوزيع- مصر).

4- تغذية طفلك (دار بداية للنشر والتوزيع- مصر).

5- نفسية طفلك (دار بداية للنشر والتوزيع- مصر).

6- طفلك والرعاية الخاصة (دار بداية للنشر والتوزيع- مصر).

7- طفلك وأمراض الدم.

8-طفلك والأمراض الوراثية.

9- طفلك وامراض الصفراء

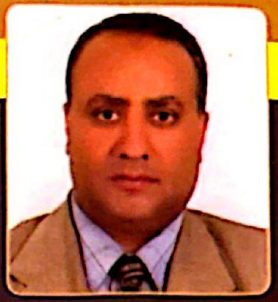
10- طفلك وامراض المناعة.

كتب طبية باللغة الإنجليزية (منشورة عالمياً):

1- كتاب: أمراض التمثيل الغذائي (ميتابوليزم) في الأطفال (جزءان).

2- كتاب: انسداد الأوردة داخل كبد الأطفال

3- فصل فى كتاب جراحة الكبد فى الأطفال



أ.د. السيد إبراهيم سلامة

من مواليد سنة ١٩٦١ محافظة الشرقية في مصر ويعمل أستاذ طب الأطفال في جامعة المنوفية، أستاذ في جامعة قطر، أستاذ في جامعة ويل كورنيل فرع قطر، حائز على الماجستير من جامعة الزقازيق، والدكتوراه في طب الأطفال من جامعة المنوفية وجامعة سان دياجو كاليفورنيا سنة ٢٠٠١.

- له العديد من المؤلفات في طب الأطفال، وهي أول سلسلة كتب باللغة العربية موجودة في المكتبات العربية للأبوين والمهتمين بصحة الأطفال، وأيضاً مؤلفات باللغة الإنجليزية في طب الأطفال لطلاب كلية الطب.
- مهتم بالدراسات الإسلامية في مجال تصحيح الفهم والعمل الإسلامي الدعوي والمؤسسي، وله في ذلك العديد من المؤلفات (١١ كتاب) في العقيدة والحديث والسيرة النبوية المطهرة.

وكأني أقرؤه لأول مرة

الكتاب الثالث من سلسلة تصحيح الفهم للمؤلف بعد الكتاب الأول والذي تحت اسم (الأربعون الحضارية)، والكتاب الثاني (العَشرة السابقون والعَشرة المتساقطون).. ويتناول هذا الكتاب (وكأني أقرؤه لأول مرة) كيفية التعامل مع القرآن الكريم فهماً وتدبراً وعملاً. وهو دعوة إلى العمل بالقرآن وليس قراءته وحفظه فقط، وذلك جزء من تصحيح فهم الشباب والأمة في التعامل مع القرآن الكريم كمنهج حياة، وقد ضربنا في الكتاب الأمثلة العظيمة من سلف الأمة، وكيف تعاملوا مع القرآن الكريم وسبقونا في هذا المضمار وفتحوا به قلوب العباد ومختلف البلاد، كما وفي الكتاب بعض الأمثلة لكيفية التدبر والتفكر في الآيات وإسقاط ذلك على الحياة اليومية لنسعد بالقرآن في الدنيا والآخرة.

والله الموفق لكل خير.

isbn 978-625-806-392-9
9 786258 063929

مكتبة الأسرة العربية
طباعة ونشر وتوزيع
إصدارات مختارة للأسرة العربية
UFUK
BASIN YAYIN DAĞITIM

www.ArabFamilyBs.com
+90 212 631 81 09
+90 555 028 11 55
info@arabfamilybs.com